المملكة العربية السعودية

الرئاسة العامة
لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

رسائل إلى حاج

تأليف

عبد الرحمن بن عبد الله السند

الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والمدرس بالحرمين الشريفين

رسائل إلى حاج

رسائل إلى حاج

تأليف

عبد الرحمن بن عبد الله السند

الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والمدرس بالحرمين الشريفين

ح الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ١٤٤٠ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السند ، عبدالرحمن بن عبدالله
رسائل إلى حاج. / عبدالرحمن بن عبدالله السند . - الرياض، ١٤٤٠ هـ
٩٤ ؛ ١٧ x ٢٤ سم
ردمك ١-٧٢-٦٨٥-٩٦٦٠

١- الحج أ.العنوان
ديوي ٢٥٢,٥ ١٤٤٠/١٠٠٠٣

رقم الإيداع: ١٤٤٠/١٠٠٠٣
ردمك ١-٧٢-٦٨٥-٩٦٦٠

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية
١٤٤٠ - ٢٠١٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله على جميع نعمه بما هو أهله، وكما ينبغي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فمن فضل الله ﷻ وتوالي نعمه أن نفدت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في وقت وجيز للغاية، وقد رغب القائمون على طباعته إعادة طبعه مرة أخرى.

وقد استجبتُ لطلبهم بعد أن أجريت عليه بعض التعديل من حذف وإضافة، وإصلاح للتطبيعات، وزيادة تعليق على بعض المسائل؛ بما لا يخرج الكتاب عن مضمونه الأساس(١).

وإنَّ مما يحسن عَرْضه فيستوجب شكره ما يجده الحاج والمعتمر من اهتمام بالغ من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز - يحفظه الله -، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي محمد بن سلمان بن عبد العزيز - وفقه الله - بالحرم المكي الشريف والمشاعر المقدسة، وأعلى هذا الاهتمام وأوفاه: تجريد التوحيد لربِّ العبيد، ونشر الأمن والأمان والاطمئنان في ربوع هذه البلاد المباركة؛ مما يستجمع قلوب الموحدين على ذكر هذا وشكره.

(١) فهو رسالة موجَّهة للحاج من عامَّة المسلمين من أقطار المعمورة، والتي تتشرف هذه البلاد المباركة - المملكة العربية السعودية - بخدمتهم من حين مَقدمِهم وإلى مَغادرتهم، فالكتاب له هدف وغاية بأسلوبه وفكرته ومادته العلمية.

أسأل الله العظيم الكريم أن يحفظ خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز بحفظه، وأن يكلأه برعايته، وأن يجري الخير على يديه، وأن يحفظ به البلاد والعباد، وأن يشدَّ عضده بولي عهده الأمين، وأن يوفقهما لكل خير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد الرحمن بن عبد الله السند

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أخي الحاج:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فأبارك لك مقدمك لهذه الديار الآمنة المطمئنة، لتؤدي شعيرة من أعظم شعائر هذا الدِّين العظيم، وركنًا من أركانه الخمسة، شعيرة تقوم على توحيد الله ﷻ، والرغبة فيما عنده وحده، والابتهال إليه، وطلب الحاجات منه ﷻ، فهي عبادة عظيمة يحقِّق فيها العبدُ توحيد الله ﷻ، ويتعرض إلى نفحات الرحمة والمغفرة منه سبحانه وتعالى.

ورغبة في التواصي بالحق، أقدِّم لك هذه الرسائل التي أسأل الله أن تكون نافعة لي ولك، ولمن يقرؤها من بعدك، فإنَّ الدال على الخير كفاعله.

تقبل الله حجَّك، وغفر ذنبك، وأعادك إلى أهلك غانمًا سالمًا.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الرحمن بن عبد الله السند

الرسالة الأولى

منافع الحج

أخي الحاج:

إن الله تعالى فاضل بين الأشخاص والأزمان والأماكن، والتخصيص والاصطفاء شأن إلهي له سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

فاختار ﷻ من الملائكة: جبريل.

ومن البشر: الأنبياء.

ومن الأنبياء: محمدًا.

ومن البلاد: مكة.

ومن الأشهر: الأشهرَ الحرمِ.

ومن الليالي: ليلةَ القدر.

ومن الأيام: يومَ الجمعة.

ومن المساجد: المسجدَ الحرام.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القَصَص: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحَجّ: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٣].

ومِمَّا اختص الله تعالى به بعض الشهور أن جعلها من أشهر الحج.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البَقَرَة: ١٩٧].

وأشهر الحج هي: شهر شوال، وذي القعدة، وذي الحجة.

وهذا الاختصاص لهذه الأشهر، هو من لدن الشارع الحكيم ﷻ.

وكما اصطفى ﷻ زمنًا للحج فإنَّه اصطفى له مكانًا، فاختار إيقاع هذا المنسك في خير البلاد وأشرفها، وهي البلد الحرام، «فإنه سبحانه وتعالى اختاره لنبيه ﷺ، وجعله مناسك لعباده، وأوجب عليهم الإتيان إليه من القُرب والبُعد من كل فجٍّ عميق، فلا يدخلونه إلا متواضعين متخشعين متذلِّلين، كاشفي رؤوسهم، متجرِّدين عن لباس أهل الدنيا، وجعله حرما آمنًا لا يسفك فيه دم، ولا تعضد به شجرة، ولا ينفَّر له صيد، ولا يختلى خلاه، ولا تلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف ليس إلا، وجعل قصده مُكفِّرًا لما سلف من الذنوب، ماحيًا للأوزار، حاطًا للخطايا، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»[(١)]، ولم يرض لقاصده من الثواب دون الجنة، ففي السنن من حديث

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة**»[(٢)]، وفي

(١) البخاري (١٨١٩)، ومسلم (١٣٥٠)، واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٦٩)، والترمذي (٨١٠)، والنسائي (٣٦١٠).

الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[١]، فلو لم يكن البلد الأمين خير بلاده، وأحبها إليه، ومختاره من البلاد؛ لما جَعل عَرصَاتها مناسك لعباده فرض عليهم قصدها، وجعل ذلك من آكد فروض الإسلام، وأقسم به في كتابه العزيز في موضعين منه فقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، وقال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١]»[٢].

ومما لا شك فيه أنَّ من أعظم الأعمال الصالحات، وأفضلها إلى رب الأرض والسماوات: فريضة الحج.

أوجبه الله على عبادة، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وجعله ركنَ الإسلام الخامس؛ كما في حديث ابن عمر ﷺ الذي أخرجه الشيخان: **«بني الإسلام على خمسة، على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج»**[٣].

والحج سبب لهدم الذنوب والسيئات، قال النَّبي ﷺ لعمرو بن العاص ﷺ: **«أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن التوبة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله»**[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).
(٢) «زاد المعاد» (١/ ٤٧).
(٣) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) واللفظ له.
(٤) أخرجه مسلم (١٢١).

وقال ﷺ عن الحج: «**من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»(١).

ومما ينبغي التذكير به: غفلة الناس عن مقاصد الحج التي من أجلها شُرع، وانشغال البعض بالتفقه في تفاصيل المسائل دون إعمال النظر في مقاصد الحج.

قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾ [الحَجّ: ٢٧] دعا الله تعالى عباده من جميع أطراف الأرض ونواحيها إلى حج هذا البيت المشرَّف على كل بقاع الأرض بتشريف الله واختيارِه راجلين أو راكبين، ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ [الحَجّ: ٢٨]، وهو لفظ عامٌّ شامل لكل نفع وخير، سواء في ذلك نفع الدنيا والآخرة.

قال الزمخشري: «نكَّر المنافع؛ لأنَّه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات. وعن أبى حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يَحُجَّ، فلما حجّ فضَّل الحج على العبادات كلها، لما شاهد من تلك الخصائص»(٢).

قال شيخنا ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أمَّا الحج ففيه من الفوائد العظيمة ما لا تحيط به العبارة.(٣)

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) «الكشاف» (٣/ ١٥٣).
(٣) ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٢٣٤).

فمن أعظم مقاصد الحج:

١- **إظهار التَّوحيد لله رب العالمين**؛ فكل مشاعر الحج هي توحيد لله، وهي مقصوده الأعظم، فإنَّ الحجَّ مؤسسٌ على التَّوحيد المحض والمحبة الخالصة.

فالحجُّ كله دعوة إلى توحيد الله ﷻ، والاستقامة على دينه، والثَّبات على ما بُعِث به رسولُه محمد عليه الصلاة والسلام، وتوجيه الناس إلى توحيد الله، والإخلاص له، والاتباع لرسوله ﷺ فيما بعثه الله به من الحقِّ والهدى في الحج وغيره. فالتلبية هي أول ما يأتي به الحاج والمعتمر، فيقول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك»، فيعلن المُحرمُ توحيدَه لله، وإخلاصه لله، وأن الله سبحانه لا شريك له، وهكذا في طوافه يذكر الله ويعظِّمه ويعبده بالطواف وحده، ويسعى فيعبده بالسعي وحده دون كل ما سواه، وهكذا بالتحليق والتقصير، وهكذا بذبح الهدايا والضحايا، كل ذلك لله وحده، وهكذا بأذكاره التي يقولها في عرفات، وفي مزدلفة، وفي منى، كلها ذكر لله وتوحيد له، ففي كل أحواله ومشاهده يقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك.

وتوحيد الله وإخلاص العبادة له هو أعظم ما أوجبه الله على عباده في كل مكان وفي كل زمان، ولاسيما في هذه البقعة العظيمة المباركة، فيخلص الحاج لله عمله وقوله من طواف وسعي ودعاء وغير ذلك، وهكذا في بقية الأعمال كلها لله وحده ﷻ، مع الحذر من معاصي الله ﷻ، ومع الحذر من ظلم العباد وإيذائهم بقول أو عمل.

٢- **إقامة ذكر الله تعالى**، فما جعل الطواف بالبيت، ولا السعي بين الصفا والمروة، ولا رمي الجمار إلا لذكر الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحَجّ: ٢٨].

وفي الأثر: «**إنما جعل الطواف والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار لإقامة ذكر الله** ﷻ»[(١)].

فمن تأمل مناسك الحج وجد ارتباطها الوثيق بذكر الله تعالى، فهي روح الحجِّ ولبُّه، وهي مقصود من مقاصده العظيمة.

٣- **تحقيق الانقياد لله** ﷻ، والمتابعة لرسوله ﷺ، فإنَّ مبنى الحج على التسليم التام لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، فيتجرد المُحرم من ملابسه ويرتدي إزارًا ورداءً، ويطوف بالبيت سبعًا ويسعى سبعًا، ويبيت في منى ليلة التاسع استحبابًا، وليالي التشريق وجوبًا، ويقف بعرفة من بعد الزوال إلى تحقيق مغيب الشمس، ثم ينتقل إلى مزدلفة ويبيت فيها إلى ما بعد الفجر، ويوم العيد له أعمال مرتبة استحبابًا، ثم أيام التشريق يرمي ويبيت في منى وجوبًا، وهذه الأعمال قد لا يدرك الحاج حكمتها، وإنما سبيله التسليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ.

وتأمل قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قبل الحجر: «إني أعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبَّلتُك»[(٢)]، ففيه التسليم التام والمتابعة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ.

واعلم - أخي الحاج - أنَّ محبَّة الله لا ينالها العبد إلا بصواب

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٣٥١)، وأبو داود (١٨٨٨)، وابن خزيمة (٢٨٨٢)، واختلف في وقفه ورفعه، والصحيح أنَّه موقوف على عائشة رضي الله عنها. **ينظر**: «السنن الكبرى» للبيهقي (ح٩٦٤٦)، ولكن يشهد لصحة معناه القرآن؛ كما قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» (٥/ ٣٤١)
(٢) أخرجه البخاري (١٥٩٧). =

عمله، وصواب العمل لا يكون إلا بشرطين رئيسين(١):

الأول: الإخلاص لله ﷻ.

والثاني: المتابعة للرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يقل أكثر عملاً، بل: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، ولا يكون العمل حسنًا حتى يكون خالصًا لله ﷻ، على شريعة رسول الله ﷺ، فمتى فَقَد العمل واحدًا من هذين الشرطين حبط وبطل»(٢).

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢]، قال: «أخلصه وأصوبه»، قالوا: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إذا كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل؛ حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة»(٣).

ومتابعة الرسول الله ﷺ لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقًا للشريعة في أمور ستة:

الأول: السَّبَب، فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعيًّا فهي مردودة على صاحبها.

---

(١) ينظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ٨)، «الروح» (٢/ ٣٩٨)، «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٧٦)، «فتح ذي الجلال والإكرام شرح بلوغ المرام» (٢/ ٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٧٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٢٤).

مثالها: رجل يُحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنَّها الليلة التي عرج فيها برسول الله ﷺ.

فالتهجد عبادة وسنة، ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة، لأنه بَنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعًا. وهذا أمر مهم يتبين به ابتداع كثير ممن يظن أنه من السنة، وليس من السنة.

ومن الأمثلة كذلك: المولد النبوي، فإن هذا السبب لم يشرع، ولم يفعله النبي ﷺ، ولا الصحابة، ولا القرون المفضلة، وإنما حدث متأخرًا عن القرون الفاضلة، بل لم يعرف إلا في القرن الرابع.

الثاني: **الجِنْس**، فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم تشرع في جنسها، فهي غير مقبولة.

ومثال ذلك: أن يُضَحِّي رجل بفرس، فلا تصح أضحيته، لأنه خالف الشريعة في جنسها، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم.

الثالث: **القَدْر**، فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة، فيقال له: هذه بدعة غير مقبولة، لأنها مخالفة للشرع في القَدْر، ومن باب أولى لو أنَّ الإنسان صلَّى الظهر مثلًا خمسًا، فإن صلاته لا تصح بالإجماع.

الرابع: **الكيفيَّة**، فلو أن رجلًا توضأ، فبدأ بغسل رجليه، ثمَّ مسح رأسه، ثم غسل يديه، ثم وجهه، فيقال له: وضوؤك باطل؛ لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

الخامس: **الزَّمَان**، فلو أنَّ رجلًا ضَحَّى في أول أيام ذي الحجة، فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان.

السادس: المَكَان، فلو أن رجلًا اعتكف في غير مسجد، فإنَّ اعتكافه لا يصح، وذلك لأنَّ الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو قالت امرأة: أريد أن أعتكف في مُصلَّى البيت فلا يصح اعتكافها، لمخالفة الشرع في المكان

٤- الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنَّة: فمن أدَّى الحج على الوجه الشرعي كان جزاؤه الجنة والكرامة، وغفران الذنوب، وحطُّ الخطايا، فالحج فرصة عظيمة يجود الله سبحانه وتعالى فيها على عباده المؤمنين بالمغفرة والرحمة والرضوان والعتق من النار، فطوبى لمن كان حجه مبروراً فلم يرفث ولم يفسق ولم يجادل إلا بالتي هي أحسن واستبق إلى الخيرات، قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٧]، ويالهذا الهدف من خير عظيم، وفضل كبير.

والحج المبرور: هو الذي لا يرتكب فيه صاحبه معصية لله، كما يدل على ذلك قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «**من حج لله فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه**»(١).

٥- الاستكثار من الطاعات في هذه البقاع المباركة، فعلى الحاج أن يستغلَّ الأوقات ويعمرها فيما ينفعه من الاستكثار من الصلاة، فصلاة

(١) أخرج أحمد (١٥٢٧١)، وابن ماجه (١٤٠٦) - بسند صحيح - من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**».

في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه[١]، والحرم كله مكان للمضاعفة، وليس هذا خاصٌّ بمسجد الكعبة المشرفة[٢].

واحرص - يا عبد الله - بالاستكثار من الطواف والصدقة، والبعد عمَّا ينافي الحج أو كماله من أفعال أو أقوال، والبعد عن المعاصي صغيرها وكبيرها.

٦- **التذكير بالآخرة، ووقوف العباد بين يدي الله يوم القيامة،** لأنَّ مشاعر الحج تجمع الناس من سائر الأجناس لا فرق بين غني ولا فقير، ولا أسود ولا أبيض، ولا عربي ولا عجمي، كلهم في زيٍّ واحد، وهيئة واحدة، يذكرون الله سبحانه ويلبون دعوته، وهذا المشهد يشبه وقوفهم بين يدي الله يوم القيامة في صعيد واحد حفاة عراة غرلاً خائفين وجلين مشفقين، وذلك مما يبعث في نفس الحاج خوف الله ومراقبته والإخلاص له في العمل.

٧- أن الحجَّ موسم تجارة، فيتبادل فيه الحجيج وغيرهم منافع التجارة، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٩٨]، وقد أخرج البخاري في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم، فنزلتْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٩٨]»[٣].

---

(١) قال شيخنا ابن باز رحمه الله: «الصلاة في المسجد الحرام حول الكعبة أفضل، وهي بمائة ألف صلاة للحديث الصحيح، والصواب أنها تضاعف الصلاة أيضًا في بقية الحرم» «مجموع فتاوى مقالات متنوعة» (١١/ ٢٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).

(٣) البخاري (٤٥١٩).

والمقصود: أنَّ الحج شعيرة من شعائر الإسلام العظيمة التي تجمع المنافع الدنيوية والأخروية.

والمسلم مطالب شرعًا بالمسارعة إلى الخيرات، وفعل ما يرضي رب الأرض والسماوات، ومن ذلك المبادرة إلى أداء الحج وقضاء هذا النسك العظيم وهذه الفريضة الكبيرة التي هي من مباني هذا الدين العظيم، وأركانه الجسام، وعلى المؤمن أن يستشعر مِنَّة الله تعالى عليه أن يسَّر له سبل الخير والاستزادة منها، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحُجرَات: ١٧].

ولذلك كان من حال أهل الجنة عندما يدخلونها - نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهلها - قولهم: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعرَاف: ٤٣].

فيسأل العبد ربه التوفيق لعمل الصالحات والإعانة.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أخذ بيده يومًا، ثم قال:

«**يا معاذ إني لأحبك**». فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا أحبك. قال: «**أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(١).

نسأل الله أن يوفقنا لكلِّ خير، وأن يجعلنا من المسارعين في الخيرات، وأن يبارك في أعمالنا وأعمارنا.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢١١٩)، والنسائي (٩٨٥٧)، وأبو داود (١٥٢٢)، وصححه النووي في «الأذكار» (ص١٠٣)، وابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/ ٢٩٧).

الرسالة الثانية

محبة الله للعبد: أسبابها وآثارها

أخي الحاج:

إنَّ التَّألُّه والتعبد لله يجمع أمورًا ثلاثة: المحبة والرجاء والخشية، فإذا تمَّت هذه الثلاثة في قلب المرء تمَّ له إيمانه.

ولذا جاء عن بعض السلف قولهم: «مَن عبدَ الله بالحب وحده فهو زنديق، ومَن عبدَ الله بالخوف وحده فهو حروري، ومَن عبدَ الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومَن عبدَ الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد»، فلا بد من عبادة الله بهذه الثلاث.

فالله ﷻ يُحِبُّ ويُحَبُّ، ومن أسمائه الحسنى: «الودود»، فهو يَودُّ عباده المؤمنين ويودونه، ويُحِبّهم ويُحَبونه، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: ٥٤].

وعباد الله المؤمنين يحبون الله ﷻ، ولكن محبتهم تتفاوت، فمن أطاع الله واتقاه كان أكثر حبًا لله ﷻ.

وأصلُ التوحيد إخلاصُ المحبَّة لله وحدَه، ولا يتمُّ حتى تكمل محبَّةُ العبد لربه، وتسبق محبَّته جميع المحابِّ، ومنشأ الشِّرك وأصلُه من التَّشريك فيها.

وقد امتدح الله عباده المُؤمنين بإخلاص المحبَّة له، كما أنه سبحانه

ذمَّ المُشرِكين بالتنديد فيها، فقال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥].

وجعلها أخصَّ خصال أوليائه فقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: ٥٤].

وإن من أعظم ثمار الإيمان بالله تعالى: حصول محبة الله تعالى لعبده، وهذه مرتبة عظيمة ودرجة عالية، إذا حصل عليها العبد كانت سعادته في الدنيا والآخرة، ولذلك قال النَّبي ﷺ يوم خيبر: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**»(١).

والمحبَّة صفة من صفات الله الفعلية التي تتعلق بأفعاله: إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٢) **صفات الله** ﷻ تنقسم إلى قسمين:

ثبوتية: وهي ما أثبتها الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ؛ كالعلو، والوجه، والرحمة، والمحبة والحياة، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، فيجب إثباتها على الوجه اللائق به سبحانه.

سلبية: وهي ما نفاها عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ؛ كالنوم والظلم والموت والجهل والعجز، فيجب نفيها عن الله تعالى، مع وجوب إثبات ضدِّها على الوجه الأكمل.

وتنقسم الصفات الثبوتية إلى:

صفات ذاتية: وهي التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها، فهي لا تنفك عنه سبحانه وتعالى، كالعلم، والقدرة ونحو ذلك، وتسمى: الصفات اللازمة؛ لأنها ملازمة للذات لا تنفك عنها.

صفات فعلية: وهي التي تتعلق بمشيئة الله؛ إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، وتتجدد حسب المشيئة؛ كالنزول إلى السماء الدُّنيا، والغضب، والفرح، والضحك، وتسمى: الصفات الاختيارية. وضابطها تقييدها بالمشيئة، تقول: يرحم إذا شاء، ويغضب إذا شاء.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين: باعتبار أصل الصفة ذاتي، وباعتبار آحاد الفعل فعلي، **فالكلام** - مثلاً - **صفة ذاتية** باعتبار أصله؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً، أما باعتبار آحاد الكلام، فهو **صفة فعلية**؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته سبحانه.

وهذه الصفة العظيمة أن يكون العبد ممن يحبه الله، لا شك أنَّها درجة يسعى العبد المؤمن إلى نيلها وتحصيلها، وهذه المحبة التي تحصل للعبد يسعد بها في دنياه وأخراه.

والأسباب الجالبة لمحبة الله للعبد كثيرة، أصلها وأساسها: الإيمان بالله والعمل الصالح.

إذا تبين لك ذلك، فمن الأسباب التفصيلية الجالبة لمحبة الله:

السبب الأول: توحيد الله ﷻ، فمتى أقام العبدُ توحيد الله في قلبه، وعمل به، وأظهره، أحبه الله ﷻ.

والتوحيد يجمع أمورًا ثلاثة:

١ - اعتقاد تفرد الله ﷻ بالربوبية: فهو الخالق، وهو الرازق، وهو المحيي، وهو المميت، وهو المعزُّ، وهو المذل.

٢ - أن العبادة بجميع أنواعها لا تكون إلا لله ﷻ، فلا يُدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا تذبح النذور ولا تقرَّب القرابين إلا له ﷻ.

٣ - أنَّ الله ﷻ له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، التي نؤمن بها كما وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة على ظاهرها، وما تدلُّ عليه ألفاظها من المعاني، ولا نؤولها عن ظاهرها.

السبب الثاني: اتّباع النبي ﷺ بما جاء به من توحيد الله ﷻ، وصرف العبادة كلها لله ﷻ، والعمل بسنته في دقيق الأمور وجليلها، وعدم إحداث شيء في دين الله لم يأت به ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عِمرَان: ٣١].

قال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله»(١).

السبب الثالث: قراءةُ القرآن بالتدبر والتفهّم لمعانيه وما أُريدَ به، كتدبّر الكتابِ الذي يحفظه العبدُ ويشرحه؛ ليتفهَّم مُرادَ صاحبه منه، وإذا أردت أن تعلم ما عندك من محبة الله فانظر محبة القرآن من قلبك.

السبب الرابع: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض فإنها توصله إلى درجة عالية من المحبة.

السبب الخامس: دوام ذكر الله - على كل حال - باللسان والقلب والعمل والحال.

السبب السادس: إيثارُ محابّ الله على محابّك، وتقديم ما يرضي الله ﷻ على رغباتك وشهواتك وإن صَعُبَ المرتقى.

السبب السابع: التفكُّر في أسماء الله وصفاته، ومعرفة معانيها وما تدل عليه، وتقلّبه في رياض هذه المعرفة ومباديها؛ فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبَّه لا محالة.

السبب الثامن: تأمُّل برِّ الله ﷻ وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة على العبد، فإنها داعية إلى محبته.

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٢).

السبب التاسع: انكسار القلب بين يدي الله تعالى رهبة منه ورغبة فيما عنده ﷻ، لا سيما في الأوقات الفاضلة، وخاصة في آخر الليل[١].

وحبُّه ﷻ للعبد ليس كحبِّ المخلوق للمخلوق، بل هو حبٌّ يليق بجلاله وعظمته، فكما أنَّ ذاته سبحانه ليست كذاتِ المخلوق، فكذلك صفاته ليست كصفات المخلوق، وحب الله ثابتٌ بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال ﷺ: «**إنَّ الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[٢]، فهذه المحبة لا نعرف كيفيتَه، ولكن نعرف معناها ونُدرِك أثرها، وليس المقصود بها إرادة الثواب.

وهذه المحبة لها آثار عظيمة، ومنها:

١- أن يوضع للعبد القبول في الأرض، وأن يحبه من في السماء ومن في الأرض:

أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال: «**إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه، قال فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض**»[٣].

---

(١) **ينظر**: «مدارج السالكين» (٣/١٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).
(٣) أخرجه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧)، واللفظ له.

=

ولذلك قال الله تعالى عن أهل الإيمان الذين يعملون الصالحات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، فيودهم ويحبهم الناس، وهذا من رحمة الله تعالى بالعبد أنه إذا أحبه وضع له القبول والمحبة في قلوب عباده المؤمنين، فيجعل لهم الرحمن ودًا ومحبة وقبول، وذلك لمن آمن بالله وعمل صالحًا.

٢- أن يُسدد الله ظاهره وباطنه:

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عَبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»(١).

فالإيمان بالله تعالى والعمل الصالح، والإكثار من الأعمال الصالحات من أسباب حصول العبد لمحبة الله تعالى، وتحقيق الثمار بذلك.

٣- أن يوفق اللهُ العبدَ لحسن الخاتمة:

أخرج الإمام أحمد عن عمرو بن الحمق الخزاعي رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله**»، قيل: وما استعمله؟ قال: «**يفتح له عمل صالح بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله**»(٢).

---

(١) البخاري (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٩٤٩) بإسناد صحيح.

ووصيتي لك أخي الحاج: أن تنظر في حالك، وتنشغل بعيوبك، وأن تعلم أن الانشغال بعيوب النفس خير من الانشغال بعيوب الناس، وأنَّ الإنسان أول ما يُصْلح يُصْلح نفسه، وانظر إلى عيوب نفسك، واسْعَ في إصلاحها، وإقامتها على الحقِّ، فإنَّ ذلك من أعظم أسباب الخير للعبد في الدنيا والآخرة، ومن علامات محبة الله لك.

أمَّا إذا انشغلت بعيوب الآخرين وسعيت في إظهارها؛ فإنَّ ذلك من علامات الهلاك، وبعدك عن محبة الله.

والموفَّق من وفقه الله، واشتغل بإصلاح نفسه، وأَطرها على الحق، وحملها على الخير بعمل الصالحات، وترك المعاصي والمنكرات، والإكثار من التوبة والاستغفار، مع حمل النفس على عمل كل ما يرضي الله تعالى.

اللهم إنا عبيدك بنو عبيدك بنو إمائك، نواصينا بيدك، ماضٍ فينا حكمك، عدل فينا قضاؤك، نسألك بكل اسم هو لك، سمّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا.

الرسالة الثالثة

الجزاء من جنس العمل

أخي الحاج:

إن من الأمور المتقررة في شرعنا: أنَّ الجزاء من جنس العمل في الخير والشر، وهي قاعدة عظيمة في هذه الشريعة.

ولو وضعها الإنسان نصب عينيه لزجرته عن كثير من الشرور والمعاصي، ولدفعته إلى بذل الخير والإحسان إلى الخلق.

وهذه القاعدة من تمام عدل الله وحكمته ﷻ.

وقد تكاثرت النصوص الشرعية في التأكيد على هذه القاعدة العظيمة، دلَّ الكتاب والسنة في أكثر من مائة موضع على أنَّ الجزاء من جنس العمل في الخير والشر.

ومن ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرَّحمٰن: ٦٠]، هذا في مقابلة الجزاء الحسن بالعمل الحسن، أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يُحْسَنَ إليه في الآخرة.

وفي مقابلة الجزاء السيء بالعمل السيء، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الرُّوم: ١٠]، ﴿عَٰقِبَةَ﴾ أي آخر أمر ﴿ٱلَّذِينَ

﴿أَسَـٰٓـُٔواْ﴾ أي عملوا السيئات ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوأ، وهي أسوأُ العقوبات وأفظعها التي هي العقوبةُ بالنارِ، جزاء لهم بجنس عملهم.(١)

٢ - قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البَقَرَة: ١٥٢]، فالجزاء من جنس العمل، فإن ذكرت الله ذكرك.

٣ - قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦]، فهذه الآيات كما أنها أتته ولم يذكرها ويعتبر بها، بل أعرض عنها فكان الجزاء من جنس العمل، فيُنسى ولا يذكر هذا الذكر، وإن كان معلومًا لله لا يجوز أن يكون مجهولاً له.

٤ - قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ [المجَادلة: ١١]، وذلك أن الجزاءَ من جنس العمل.

٥ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [الحَشر: ١٩]، أي: لا تنسوا ذكر الله فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم، فإن الجزاء من جنس العمل.

٦ - قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقِعَة: ١٠-١١]، فمن سابق في هذه الحياة الدنيا فسبق غيره إلى الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، وذلك أنَّ الجزاء من جنس العمل.

---

(١) ينظر: «نظم الدرر في تناسب الآي والسور» (١٥/ ٥٣)، «تفسير أبي السعود» (٧/ ٥٣).

٧ - قول النَّبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»(١).

فالله تعالى يذكر من ذكره، فإن ذكره في نفسه، ذكره الله تعالى في نفسه، وإن ذكره في ملأ ذكره الله تعالى في ملأ خير منه.

والله تعالى يجازي بالعمل الذي يعمله الإنسان بأفضل وأحسن مما يكون؛ لأن الله تعالى هو الكريم الجواد المتفضل سبحانه.

فالربُّ تعالى أحبَّ هذا العبد لما قام بمحبوب الله جل وعلا من الطاعات، فإنَّ الجزاء من جنس العمل، فلمَّا لم يزل متقربًا إلى الله بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبَّه الله، وهذا فيه دلالة على أن من أقبل على الله أقبل الله عليه بأكبر مما أقبل عليه العبد.

وأيضًا فإن الله تعالى كريم يحب الكرم، والله تعالى يجازي على الكرم بالخير والثواب الحسن.

٨ - قول النبي ﷺ: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته. حلت له شفاعتي يوم القيامة**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٣٦)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

فقد رغَّب الرسول ﷺ المسلمين أن يسألوا الله له الوسيلة، وبيَّن أن من سألها له حلت له شفاعته يوم القيامة، كما أنه من صلَّى عليه مرة صلَّى الله عليه عشرًا، فإن الجزاء من جنس العمل.

٩ - قول النبي ﷺ: **«من استمع إلى حديثِ قوم وهم له كارهون، صُبَّ في أُذنيهِ الآنُك»**(١)، أي من استمع إلى حديثِ قومٍ وهم لا يريدون استماعه أو يكرهون استماعه، أما من استمع لحديث أهل الفساد ليحترز من شرهم فلا يدخل تحته.

قال ابن حجر رحمه الله: «أمَّا الوعيد على ذلك بصبِّ الآنكِ في أذنه فمن الجزاءِ من جنس العمل»(٢).

١٠ - قال النبي ﷺ: **«من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»**(٣).

ففي الحديث حث على التعاون، وحسن التعاشر والألفة، وفيه أنَّ المجازاة تقع من جنس الطاعات، وأنَّ جزاء هذا العبد بوقوفه مع أخيه وتفريج كربته أن يفرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة المهولة، ومثله إذا ستر عليه أمرًا خاصًا به لا يحسن أن يطلع عليه الناس، فإنَّ الله يجزيه بخير منه، وهو الستر عليه يوم القيامة.

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٥٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. **والآنُك**: - بالمَدِّ وضَمِّ النُّون بعدها كاف - الرصاصُ المذاب، وقيل هو خالص الرصاص، وقيل: هو القصدير.

(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٤٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

١١- قال النبي ﷺ: «**حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسرًا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله ﷻ: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه**»(١).

فهذا العبد قد وضع الله عنه وتجاوز عن ذنوبه؛ لأنه كان يتجاوز عن عباد الله تعالى.

قال ابن الملقن رحمه الله: «والعادة أنَّ الجزاء مِن جِنس العمل ثوابًا وعقابًا، كالتَّنْفيس بالتَّنْفيس، واليُسر باليُسْر، والعون بالعون، كما ذكر في هذا الحديث، ونظائره كثيرة في أحكام الدنيا والآخرة»(٢).

فلذلك؛ فإن العبد ينظر إلى مكافأة الله له بأحسن ممَّا عمل، وإن العبد كلما أحسن في عمل أحسن الله عليه من جنس عمله، لكن بأكثر وأفضل وأحسن؛ لأن المنعم الذي جازى هو الله تعالى، ولذلك يجازي في الحسنة بعشر أمثالها وفي السيئة بمثلها، ويغفر جل جلاله، فإنك تتعامل مع الغني الجواد المتفضل.

فأحسن - يا عبد الله - يُحْسَن إليك وأصلح عملك وأخلاقك وسلوكك تجد الأثر البالغ في صلاح شأنك، وصلاح أمرك، وصلاح نيتك، وصلاح ذريتك، فكلَّما أحسنت مع الناس يحسن الله تعالى إليك، وكلَّما صدقت مع الناس صدقك الله تعالى، وصدقك عند الناس، وإذا بررت إلى الناس أبر الله بك، وحبب إليك خلقه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٦١)، عن أبي مسعود رضي الله عنه.

(٢) «المعين على تفهم الأربعين» (ص٤٠٧).

فإن المسلم وهو في تعامله مع الخلق يعلم أنه ليس بمنأى عن المحاسبة والجزاء من الخالق ﷻ، والجزاء يكون من جنس العمل فـ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرَّحمٰن: ٦٠]، وإن عملت غير ذلك فإنَّ: ﴿عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الرُّوم: ١٠].

فعاقبة الشر شرًا، وعاقبة الخير خيرًا، وعاقبة الحسنات حسنات، وعاقبة السيئات سيئات، والحسنات والسيئات يراد بها أعمال الخير وأعمال الشر، كما يراد بها النِّعم والمصائب، والجزاء من جنس العمل، فمن عمل خيرًا وحسنات لقي خيرًا وحسنات، ومن عمل شرًا وسيئات لقي شرًا وسيئات.

وهكذا الإنسان ينظر إلى ما قدمت يداه وإلى ما عملت نفسه، فإنه مجزي عنه إن حسن فحسن، وإن سيئًا فسيء.

نسأل الله أن يعاملنا بعفوه وكرمه، ولطفه، وأن يستر عيوبنا، وأن يصلح نياتنا وأعمالنا.

الرسالة الرابعة

الحياء من الله

أخي الحاج:

إن من أعظم خصال الإيمان: الحياء، وهو رأس الأخلاق وزينتها، ودليل على بقيتها، وهو خلق الإسلام؛ كما جاء في الحديث عنه ﷺ: **«إِنَّ لكلِّ دينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ الإِسلام الحيَاءُ»**(١).

والحياء مشتقٌّ من الحياة، كما أنَّ الغيث يسمى حَيَا؛ لأن به حياة الأرض والنبات والدواب، ومن لا حياء فيه فهو ميت في الدُّنيا شقي في الآخرة، وبين الذُّنوب وبين قلة الحياء تلازم، وكلٌّ منهما يستدعي الآخر ويطلبه، ومن استحى من الله عند معصيته، استحى الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من معصيته لم يستح الله من عقوبته.

وقد قال النَّبي ﷺ: **«الحياء من الإيمان»**(٢).

وقال ﷺ: **«الحياء شعبة من الإيمان»**(٣).

وقال ﷺ: **«الحياء لا يأتي إلَّا بخير»**(٤)

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٨١)، والطبراني في المعجم الأوسط (١٧٥٨)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٩٨)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦). من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

فالحياء خير كله، ولا يأتي إلا بالخير، ولذلك فهو من شعب الإيمان، والتحلِّي به مما يقرب العبد إلى ربه تعالى.

وأعظم الحياء: الحياء من الله تعالى، وذلك أن تستحي من ربك تعالى، فلا يراك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، فإن ذلك من الحياء من الله سبحانه وتعالى.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «واعلم أنَّ الحياء نوعان: **أحدهما**: ما كان خَلْقاً وجِبِلَّةً غيرَ مكتسب، وهو من أجلِّ الأخلاق التي يَمْنَحُها الله العبدَ ويَجبِلُه عليها، ولهذا قال ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلَّا بخير**»، فإنَّه يكفُّ عن ارتكاب القبائح ودناءةِ الأخلاق، ويحثُّ على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها، فهو مِنْ خصال الإيمان بهذا الاعتبار ....**والثاني**: ما كان مكتسباً من معرفة اللهِ، ومعرفة عظمته وقربه من عباده، واطلاعه عليهم، وعلمِه بخائنة الأعين وما تُخفي الصدور، فهذا من أعلى خصالِ الإيمان، بل هو مِنْ أعلى درجات الإحسّان»[(١)].

روى الترمذي من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**استحيوا من الله حق الحياء**». قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال: «**ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»[(٢)].

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٥٠١).

(٢) الترمذي (٢٤٥٨)، وحسنه ابن القطان في «الوهم والإيهام» (٤/ ٤٥٢)، والنووي في «المجموع» (٥/ ١٠٥).

فحقُّ الإنسان إذا همَّ بقبيح أن يتصور أجلَّ من في نفسه حتى كأنه يراه، فالإنسان يستحي ممن يكْبُر في نفسه؛ ولذلك لا يستحي من الحَيوان ولا من الأطفال، ولا من الذين لا يميزون، ويستحي من العَالِم أكثر مما يستحي من الجَاهل، ومن الجماعة أكثر مما يستحي من الواحد.

والذين يَستحي منهم الإنسان ثلاثة: الناس، ثم نفسه، ثم اللَّه ﷻ.

ومن استحيا من الناس ولم يستحِ من نفسه فنفسه عنده أخس من غيره.

ومن استحيا منهما ولم يستحِ من اللَّه فلعدم معرفته بالله ﷯، فإن الإنسان يستحي ممن يعظمه ويعلم أنه يراه أو يسمع نجواه فيبكته، ومن لا يعرف اللَّه فكيف يستعظمه، وكيف يعلم أنه مطلع عليه، ويا خذلان من جعل الله أهون المطَّلعين عليه!

والحياء من الله تعالى: أن يحفظ المرء رأسه وما وعى من سمع وبصر ولسان، فلا ينظر ولا يتكلم ولا يسمع إلا بما يرضي الله تعالى، فلا يُطلق بصره ولا سمعه ولا لسانه في المحارم، فإنَّ حِفْظَ الرأس وما وعاه من سمع وبصر ولسان وعقل عما يغضب الله تعالى من الحياء من الله.

وأن يحفظ بطنه، فلا يدخل إليه حرامًا، فإن ذلك من الحياء من الله تعالى، فإذا دعتك النفس إلى مطمع من مطامع الدنيا، أو باب من أبواب الحرام من مأكل أو مشرب، فتذكر الله تعالى واستحي منه، فمن حفظ بطنه من أن ينزل إليه ما يغضب الله تعالى، فهذا هو الحياء من الله.

ويجب على المرء أن يذكر الموت، وأن يعلم أنه إلى الآخرة

صائر، وأن الموت لا شك بك نازل، وأن هذه الحياة مرحلة عمل، وغدًا حساب على ما عملت، فإذا تذكر الإنسان أنه من هذه الدنيا منتقل، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [العَنكبوت: ٥٧]، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٦]، فإنه يبعد عمَّا يغضب الله تعالى، ويتحلى بطاعته سبحانه.

اللهم اجعلنا ممن يستحون منك حق الحياء، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

الرسالة الخامسة

انحراف الخوارج وضلالهم

أخي الحاج:

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذُهَيبةٍ في أديم مَقْرُوظ،[١] لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر، فقال رجل: كنَّا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء**»، فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال يا رسول الله اتق الله، قال: «**ويلك، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله**» قال: ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ قال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**»، فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: «**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**»، قال: ثم نظر إليه وهو مقف، فقال: «**إنه يخرج من ضئضئ**[٢] **هذا قوم يتلون كتاب الله**

---

(١) قوله: (أديم مقروظ)، أي: أي مدبوغ بالقرظ وهو ورق السلم، وقوله: (لم تحصل من ترابها)، أي: أي لم تخلص وتصف حتى يثبت منها التبر. ينظر: «مشارق الأنوار» (١/ ٢٠٥)، «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٤٣).

(٢) قوله: «**ضئضئ هذا**»، أي: من أصله، والضئضئ أصل الشيء ومعدنه، وقيل نسله. «مشارق الأنوار» (٢/ ٥٥).

رطبًا، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»(١).

وفي رواية: أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، اعدِلْ، فقال: «**ويلك ومَن يعدل إذا لم أعدل؟! قد خبتَ وخسرتَ إن لم أكن أعدل**»، فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه، فأضرب عنقه(٢).

وفي رواية أنه قال في وصفهم: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**»(٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بعدي من أمتي - أو سيكون بعدي من أمتي - قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حَلاقيمَهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخَلِيقة**»(٤).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة**»(٥).

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي غالب قال: لما أتي برؤوس

---

(١) البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).
(٢) البخاري (٣٦١٠).
(٣) أخرجها البخاري (٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤).
(٤) أخرجه مسلم (١٠٦٧).
(٥) أخرجه البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦).

الأزارقة - وهم فرقة من فرق الخوارج - فنصبت على دَرَج دمشق، جاء أبو أمامة رضي الله عنه فلمَّا رآهم دمعت عيناه فقال: «كلاب النار، ثلاث مرات، هؤلاء شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتلى قتلوا تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء»، قال: فقلت: فما شأنك دمعت عيناك؟ قال: رحمة لهم إنهم كانوا من أهل الإسلام. قال: قلنا: أبرأيك قلت: هؤلاء كلاب النار، أو شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: إني لجريء بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة ولا اثنتين ولا ثلاث قال: فعد مرارًا[(١)]

هذه بعض الأحاديث التي جاءت في السنة النبوية للتحذير من أخطر فرقة وجماعة خرجت في تاريخ الإسلام وهي (الخوارج)، ولا يزال لها انتشار إلى اليوم بمعتقداتها وأفكارها الفاسدة.

وسموا: (خوارج)، لخروجهم على خيار المسلمين، وعلى الجماعة، وعلى الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه؛ سواء كان في زمن الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان يكون فيه إمام له بيعة شرعية من أهل الحل والعقد ومن دونهم.

ولم يأت في السنة النبوية تحذير من فرقة بعينها من فرق هذه الأمة - التي ذكر النَّبي ﷺ أنها ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة - كما جاء في الخوارج، فقد ورد فيهم عدد من الأحاديث الصحاح والحسان تجاوزت العشرين حديثًا.

---

(١) أحمد (٢٢١٨٣)، الترمذي (٣٠٠٠)، وابن ماجه (١٧٦)، والبيهقي (١٦٧٨٢)، وصححه الألباني.

قال ابن أبي العز رحمه الله: «وقد ورد في ذم القدرية أحاديث في السنن... وروي في ذم القدرية أحاديث أخر كثيرة، تكلَّم أهل الحديث في صحة رفعها، والصحيح أنها موقوفة، بخلاف الأحاديث الواردة في ذم الخوارج، فإنَّ فيهم في الصحيح وحده عشرةَ أحاديث، أخرج البخاري منها ثلاثة، وأخرج مسلم سائرها»[1].

ولعل من أسباب كثرة الأحاديث المحذرة منهم، والله أعلم:

١ - عِظَم ضررهم المتحقق على الأمة الإسلامية، مفارقة لها، وقتلاً للمنتسبين لها.

٢ - التباس أمرهم على عامَّة الناس واغترارهم بهم لصلاح ظاهرهم، فسيماهم سيما أهل الخير والصلاح، ولكنَّ اعتقادهم في المسلمين، وأفعالهم فيهم تخالف ذلك.

٣ - تخوضهم في الدماء واستهتارهم بها.

٤ - خروجهم على جماعة المسلمين وولاتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الخوارج دينهم المعظم: مفارقة جماعة المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم»[2].

وصفاتهم الواردة في السنة عديدة:

منها: أنهم: «**حدثاء الأسنان**»، فهم في الغالب صغار السن، وهذا واضح في هذا الزمان.

---

(١) «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٩٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٠٩)، وينظر: (٣/ ٢٧٩).

ومنها: أن فيهم طيش وسَفه وغرور وتعالي على الأمّة، وما ذلك إلا لرداءة عقولهم وفسادها.

ومنها: سوء فهمهم للقرآن الكريم، فلا يعقلون آياته ولا يفهمون أحكامه، إنما يتلون حروفه ولا يتجاوز حناجرهم إلى قلوبهم. وهذه الصفة من الصفات الواضحات لهم في زماننا هذا، فلا فقه لديهم في الدِّين، ولا يشتغلون بطلب العلم، ولم يُعرف عنهم تلقيه عن العلماء الكبار.

ومنها: اتخاذهم شعارًا في كل زمان، كما قال ﷺ: «**سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ**»، وهذه السِّيْما - أي حلق الرؤوس - سَيما أوَّلهم كما كان ذو الثديَّة، وليس هو وصفٌ لازم لهم، بل يتغير في كل زمان، وتكفيرهم للمسلمين.

ومنها - وهي من أعظمها -: استباحة دماء المسلمين الموحدين، وهذا صفة سائر الخارجين؛ فإنهم يستحلون دمَاء أهل القبلة لاعتقادهم أنهم مرتدون، أكثر مما يستحِلّون من دماء الكفار الذين ليسوا مرتدين، كما قال ﷺ: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**»، ومن تأمل حالهم هذ الزمان وجد انطباق هذا الوصف عليهم، فكم فرقوا بين المسلمين بتكفيرهم واستحلال دمائهم، فكانوا عونًا لأعداء الأمة ضدها، والطعن على الأمراء ونسبتهم إلى الضلال.

ومنها - وهي من أشر صفاتهم -: التأليب على الحكام وذكر معايبهم والخروج عليهم، وهذا صفات الخوارج وأتباعهم، فلا تكف ألسنتهم في الطعن في أمراء المسلمين، وتضليلهم وتكفيرهم.

فإنَّهم لما فتحوا باب الشرِّ في زمان عثمان ﵁ وأنكروا على عثمان جهرة، ثم قتلوه ﵁، وقعت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم، فكانوا هم سبب الفتنة بين علي ومعاوية ﵄، وقتل فيها جمع كثير من الصحابة وغيرهم، وكلَّ ذلك كان مبدؤه: الإنكار العلني وذكر العيوب علنًا، حتى أبغض النَّاس ولي أمرهم وقتلوه

وما أصدق ما قاله ابن كثير ﵀ عنهم: «وهذا الضربُ من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوَّع خلقه كما أراد وسبق في قدره العظيم، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤]»(١).

خرجوا على عثمان بن عفان ﵁ زوج بنتي رسول الله ﷺ، والمبشر بالجنة من رسول الله ﷺ، وثالث الخلفاء الراشدين، وهو الذي قال عنه ﷺ: «**ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم**»(٢).

فخرجوا عليه؛ لأنه في رأيهم قد ضلَّ وانحرف، وأنه يجب إصلاح الحال بالخروج عليه، بل بقتله، فخرجوا عليه وقتلوه، وليس على وجه الأرض يوم قتله أبر ولا أتقى ولا أصلح منه ﵁.

ثم توالت أعمالهم الإجرامية وفكرهم الضَّال في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﵁ الذي شهد له النَّبي ﷺ بمحبة الله له ومحبة رسول الله له، حيث قال: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله**

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٥٨٠).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٠٦٣٠)، وفي «فضائل الصحابة» (٧٣٨)، والترمذي (٣٧٠١).

ورسوله، ويحبه الله ورسوله»[(١)]، فأعطاها له، وهو المبشر بالجنة، وزوجُ البَضْعَة[(٢)] النَّبويَّة فاطمة رضي الله عنها، وابن عمه ﷺ، فخرجوا عليه وقتلوه.

وقَاتِلُ عليٍّ رضي الله عنه إنما أراد بذلك - بزعمه - أن يتقرَّب إلى ربه، ولذلك مدحه شاعرهم بقوله:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ عند ذي العرش رضوانًا

وردَّ عليه بعض أهل العلم فقال:

بل ضربة من شقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش خسرانا

إني لأذكره يومًا فأحسبه أشقى البرية عند الله ميزانا

فقتل هذا الشقيُّ عليًّا رضي الله عنه، وهو أتقى أهل الأرض يومئذ، وأبرهم وأخشاهم لله، ومع ذلك يتقرب هذا الشقي إلى الله بقتله.

وتأمَّل - يا عبد الله - هذه القصة:

أَسَر الخوارج عبد الله بن خباب رضي الله صاحب رسول الله ﷺ هو وامرأته وهي حامل فقالوا له: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله، ﷺ، وأنتم قد رَوَّعتموني. فقالوا: لا بأس عليك، حدثنا ما سمعت من أبيك؟ فقال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي»، فقادوه بيده، فبينما هو يسير معهم إذ لقي بعضهم خنزيرًا لبعض أهل الذِّمَّة فضربه بعضهم بسيفه فشق جلده،

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٢) أخرج البخاري (٣٧٦٧) أن رسول الله ، قال: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني»، **بضعة**: بفتح الموحدة وحكي ضمها وكسرها أيضًا وسكون المعجمة أي قطعة لحم.

فقال له آخر: لم فعلت هذا وهو لذمي؟! فذهب إلى ذلك الذِّمي فاستحلَّه وأرضاه، وبينما هو معهم إذ سقطت تمرة من نخلة فأخذها أحدهم فألقاها في فمه، فقال له آخر: بغير إذن ولا ثمن؟! فألقاها ذاك من فمه.

ومع هذا الورع البارد الفاسد: قَدَّموا عبد الله بن خباب فذبحوه، وجاءوا إلى امرأته فقالت: إني امرأة حبلى ألا تتقون الله ﷻ! فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها(١).

أي دين هذا الذي يجعل هذا الخارجي يتورع عن قتل خنزير نجس، ويقتل صحابي من صحابة رسول الله ﷺ! وأي دين يجعل هذا الخارجي يتورع عن أكل تمرة ساقطة، ولا يتورع عن قتل امرأة صحابي وجنينها الذي في بطنها!

فهذه العقيدة الفاسدة وهذا الفكر الضال المنحرف خطر داهم على الأمة، وقد حذر منه النَّبي ﷺ، ووصف العلاج تجاههم بقوله: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»(٢).

فاستئصال هذا الفكر يكون باستئصال أصحابه، وذلك لاستفحال شرهم، وخطرهم، وضررهم على الأمة.

فكل من اعتنق فكرهم وخرج على المسلمين فإنه يجب قتاله واستئصال شره، كما أوجب النبي صلى الله عليه سلم قتل أسلافهم.

فهم يطعنون الأمة في خاصرتها، ويغدرون، ويفجرون، ويخونون، ويقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٥٨٤)

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤).

=

ولذلك قال النَّبي ﷺ، لما سأله حذيفة رضي الله عنه: وهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها**»، قال: صفهم لنا يا رسول الله. قال: «**هم قوم من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**»، فقال حذيفة: فما المخرج إن أدركتهم؟ فقال ﷺ: «**أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»(١).

فهذا هو المخرج الشرعي، ليس هناك مخرج غير ذلك، وإلَّا لبيَّنه الرسول ﷺ، فعلى المؤمن أن يعرف المنهج الشرعي في هذا الأمر.

فهذه الفتن التي أطلَّت برأسها النتن الخبيث على الأمة خطيرة للغاية، والواجب على المؤمن تجاه هذا أن يلزم جماعة المسلمين، وإمامهم، وأن يَحذَر من فكر هذه الفرقة، ويحذِّر منها من تحته ومن حوله، وخاصَّة الشباب منهم، فإنَّ خطرهم عظيم، ووباءهم كبير، واستهتارهم بالدماء المعصومة أمرٌ مشاهد، فإنَّ قتل المسلم أو المعاهد والذمي والمستأمن أسهل عندهم من قتل البهيمة والعياذ بالله.

نسأل الله أن يكفينا شرَّهم، وأن يجعل تدبيرهم تدميرًا لهم، وأن يحفظ علينا ديننا وأمننا، وأن يحفظ بلاد المسلمين من كل باغٍ وخارجٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

الرسالة السادسة

وصايا نبوية عظيمة

أخي الحاج:

إنَّ بلاغة النَّبيِّ ﷺ من مظاهر تفرده، ومن أعظم دلائل نبوته، وكان منطقه في الذروة العليا من كلام العرب الذين تمت فصاحتهم في حين بعثته ﷺ.

وكان ﷺ ذا لسان مبين، ومنطق مستقيم، لا يعاب عليه قول، ولا ينطق بهُجرٍ، وصاحب الحكمة البالغة والكلمة الصادقة وقد أحاط الله منطقه بالعناية، ووصفه بالبيان؛ فقال ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النّجم: ٣-٤].

وقد أوتي ﷺ جوامع الكلم، وسَواطع الحِكم، من عند رب العالمين، فكلامه أشرف الكَلم وأفضله، وأجمع الحِكم وأكملها بعد كلام الله ﷻ.

وكان من خصائص لفظه ﷺ ما وصفه هو ﷺ فقال في حديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**بُعِثتُ بِجَوامعِ الكَلِمِ**»(١)، وفي رواية مُسلم: «**فضِّلتُ على الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوامعَ الكَلِمِ**»(٢).

---

(١) البخاري (٢٩٧٧).

(٢) مسلم (٥٢٣).

فحديث رسول الله ﷺ تجد فيه أصول الهداية، ودقيق العلم، ولطيف الإشارة؛ كل ذلك في بيان عالٍ مع فصاحة وسماحة منطق.

والكَلم: جمع كلمة، والجوامع: جمع جامعة، كضاربة وضوارب.

والمعنى: أنَّه ﷺ مُكِّن من الألفاظ المختصرة التي تدل على المعاني الغزيرة.

وأنت إذا تأمَّلت في كلامه ﷺ وجدت جُلَّ كلماته جاريةً على هذا السبيل، فكلامه ﷺ قريب من النفوس.

شاهدُ ذلك: أنَّ رجلاً جاء إليه ﷺ، فقال يا رسول الله: عِظْني وأوجز، فقال ﷺ: «**إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه، وأجمع اليأس عما في أيدي الناس**»(١).

هذه ثلاث وصايا عظيمة:

الوصية الأولى: «إذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مودع».

وهذه الوصية في أمر عظيم، له شأن كبير، يتعلَّق بأعظم أركان الدِّين بعد الشهادتين، وهو الصَّلاة بحسن أدائها، والقيام بها على أكمل وجه.

ومما يعين على ذلك: أن العبد يستشعر وهو يصلي أن هذه الصلاة هي آخر صلاة يصليها، وأنه بعد ذلك ستقبض روحه، ولن يتمكن من صلاة غيرها، فليكن هذا الحال في كل صلاة تصليها، أن تستشعر أن

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٤٩٨)، وابن ماجه (٤١٧١)، **ينظر**: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/٧٥٩).

هذه الصلاة هي آخر صلاة تؤديها، فستجمع قلبك في هذه الصلاة فتؤديها بخشوع وتدبُّر لما تقول وتتلو، وإتمام ركوعها وسجودها وأركانها، مع الانطراح بين يدي الله تعالى، فإن هذه الصلاة من أعظم الأسباب لصلاح العباد.

فمن استشعر أنه مودع بصلاته، وانها آخر صلاة له أتقنها على أكمل وجوهها، وأحسن كيفيتها، وخشع فيها.

والصلاة على هذا الوجه: تنهى صاحبها عن كل خلق رذيل، وتحثه على كل خلق جميل؛ لما تؤثره في نفسه من زيادة الإيمان، ونور القلب وسروره، ورغبته التامة في الخير

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العَنكبوت: ٤٥].

فهي من أعظم الأسباب التي تعين على صلاح العبد، وعلى بعده عن كل سوء وفحشاء ومنكر، ولذلك إذا أحسن العبد الصلاة بإتمام ركوعها وسجودها، وبالخشوع فيها فإن ذلك خير له وسبب لجذب الراحة والطمأنينة والسعادة والاستقرار في حياته وفي قلبه، فضلًا عن آخرته.

ولذلك كان النَّبي ﷺ يقول: «**قم يا بلال فأرحنا بالصلاة**»[(١)]، وفي الحديث الآخر قال: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[(٢)]، وكان ﷺ إذا

(١) أخرجه أحمد (٢٣٥٥٨)، وأبو داود (٤٩٨٥)، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه أحمد (١٤٠٣٧)، والنسائي (٣٩٤٠)، وصححه ابن حجر في «فتح الباري» (١١/٣٥٣)..

حزبه أمر صلَّى(١).

فالصلاة صلة بين العبد وربه، وهي سبب للسعادة في الدنيا والآخرة، وفيها راحة للقلوب، وهي قرة عين ونعيم للروح بشرط أن يقبل عليها، وأن يحضر فيها بقلبه، ويخشع فيها لله، وأن يستحضر أنَّها عمود الإسلام، وأنَّها مناجاة للربِّ ﷻ ووقوف بين يديه، فبذلك يرتاح فيها، وتقر عينه، ويجد لذة لها في نفسه، في قيامه وقراءته وركوعه وسجوده، وسائر ما شرع الله فيها.

الوصية الثانية: «ولا تكلم بكلام تعتذر منه».

أصله: ولا تتكلم. وإنما حذفت إحدى التاءين تخفيفًا.

وهذه وصية بحفظ اللسان، وليس المقصود منها ألا تعتذر، فمن أخطأ ولم يعتذر فقد أساء مرتين.

وإنَّما المراد أن تحفظ لسانك مما لا يحسن الكلام به، فيحوجك ذلك الكلام إلى الاعتذار.

والعبد يهوي بالكلمة الواحدة في النِّار أبعد ما بين المشرق والمغرب كما قال نبينا ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق**»(٢)، فالعاقل من صان لسانه وحفظه.

ولذلك قال: «**ولا تكلم بكلام تعتذر منه**»، أي: فتندم عليه، وتبحث عن الأعذار عن هذا الكلام، بل؛ ليسعك الصمت.

---

(١) أخرج أحمد (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩) عن حذيفة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمرٌ صلى»، وحسَّنه ابن حجر في «فتح الباري» (٣/ ٢٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

فإذا كان هذا الكلام سيحوجك إلى الاعتذار والنَّدم عليه غدًا، فلا تتكلم به اليوم، ولذلك قال النَّبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت**»(١).

فالكلام إذا أردت أن تتكلم به على ثلاثة أحوال:

الحال الأولى: أن يكون خيرًا، والإنسان مطلوب منه أن يتكلم بالخير.

الحال الثانية: أن يكون شرًا، ولا يجوز للإنسان أن يتكلم بالشر.

الحال الثالثة: أن يكون مترددًا، لا يدري هل هو من الخير أم من الشر؟ والأمر في ذلك أيضًا أن يلزم الصمت.

وتأمل هذه الوصية من الإمام النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول: «اعلم أنَّه ينبغي لكل مكلَّف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتَركه في المصلحة، فالسُّنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجرُّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسَّلامة لا يعدلها شيء»(٢).

ففي حالين يكون الصمت فيهما خير وأنقى وأنجى للعبد، ولا يتكلم إلا إذا علم أنَّ كلامه فيه الخير والفائدة والنفع.

ولذلك قال العلماء في معنى قول النَّبي ﷺ: «**ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدًا**»، إمَّا أن يتكلم بكلام يعتذر منه غدًا؛ أي: في الحياة،

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٥)، ومسلم (٤٧).

(٢) «رياض الصالحين» (ص٢٧٦).

فيندم عليه ويعتذر، وإن لم يكن كذلك فيكون المراد به يوم القيامة، يوم تبلى السرائر ويحاسب العبد على لكل كلمة تكلم بها.

ولذلك في كل يوم يصبح فيه العباد تُكفِّر الأعضاء اللسان، فتقول: «**اتَّقِ الله فينا، فإنَّما نحنُ بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**»[١].

وهذا فيه دلالة على عِظم خَطر ما يتكلَّم به الإنسان، وأنه مؤاخذ به، سواء الكلام باللسان أو الإشارة باليد، وانظر لحال الخوارج في القديم والحديث؛ فإنَّ مبدأ خروجهم على الأمَّة والحكَّام لم يكن بالسيف، وإنما كان بالكلام، نعوذ بالله من حالهم.

فالعبد مؤاخذ بما يتكلم، وبما يكتب؛ لأن اليدَ أحد اللسانين[٢]، والكلام بالكتابة يبقى ويدوم، ولذلك فإنَّ ضرره سواء كان بما يتعلق بوسائل التواصل أو بالكتب والرسائل، أو غير ذلك، فالإنسان سيؤاخذ بما يقول وبما يكتب.

وما من كاتب إلا سيفنى ... ويُبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

فانظر إذا أردت أن تكتب، هل هذا يسرك في القيامة أن تراه، وتظن أنه في صحائف أعمالك الحسنى، أو امتنع منه قبل ألا يكون هناك مجال للاعتذار، وإنما التقاضي بالحسنات والسيئات.

---

(١) أخرجه أحمد (١١٩٠٨)، والترمذي (٢٤٠٧)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٩٣).

(٢) قالت العرب: «القلمُ أحدُ اللسانين»، «البيان والتبين» (١/ ٨٥)، «عيون الأخبار» (١/ ١٠٧).

الوصية الثالثة: «وأجمع اليأس عما في أيدي الناس».

يعني اعزم واعقد قلبك على اليأس بما في أيدي الناس، وعلِّق قلبك ورجاءك بالله وحده، فلا تتعلق بالناس وبما في أيديهم، وإنما عَلِّق قلبك بالله تعالى، ومن توكَّل على الله فهو حسبه وهو كافيه وهو نعم المولى ونعم النصير.

وكلما كان الإنسانُ صاحبَ طمع وحرص تطلَّع إلى ما عند الغير؛ مِمَّن هو فوقه؛ لأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس.

واعلم أنّ اليأس عمّا في أيدي النَّاس هي العِفة التي يؤتيها الله من تعفف ووطَّن نفسه عليها، كما قال ﷺ: «**ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله**»(١).

ومن أَيس من شيءٍ استغنى عنه وهذا شيء مجرب، ولكن ليكن قلبك معلقًا بالله ﷻ، فكما أنك لا تسأل بلسانك إلا الله، فلا تعلِّق قلبك إلا بالله، فتبقى عبدًا لله حقيقة، سالمًا من عبودية الخلق، ومن النظر إلى ما بأيديهم، واكتسبت بذلك العزَّ والشرف؛ فإنَّ المتعلق بالخلْق يكتسب الذلَّ والسُّقوط بحسب تعلقه بهم، وتأمَّل حال الناس تجد مصداق ذلك.

أسأل الله أن يغنينا بحلاله عن حرامه، وان يجعلنا أفقر عباده إليه، وأغناهم به.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (١٧٤٥).

الرسالة السابعة

جهود ولاة أمر المملكة العربية السعودية في خدمة الحرمين الشريفين وقاصديهما

أخي الحاج:

لعلَّك تقرأ أو تسمع بعض تصريحات ولاة أمر هذه البلاد المباركة - المملكة العربية السعودية - التي تؤكِّد حرصهم - حفظهم الله - على كلِّ ما من شأنه رِفعة أمر المدينتين المقدستين: مكة المكرمة، والمدينة المنورة.

بل قد نصَّ النظام الأساسي للحكم - وهو يقابل الدستور في الدول الأخرى - في مادته الرابعة والعشرين: «تقوم الدولة بإعمار الحرمين الشريفين، وخدمتهما، وتوفر الأمن والرعاية لقاصديهما، بما يمكن من أداء الحج والعمرة والزيارة بيسر وطمأنينة».

وهذا الأمر نابع من عقيدة راسخة تلقاها ملوك هذه البلاد من الملك المؤسس ﵀، في الاهتمام بهاتين المدينتين المقدستين، وصيانتهما من كل ما يشوب صفو مرتاديهما في دينهم وأمنهم، ويعكِّر عليهم روحانيتهم فيها.

فلا يجد الزائر لهاتين المدينتين المقدستين مظهرًا من مظاهر الشركيات أو البدع فيهما، ولله الحمد.

كما أنَّ من دخلهما شَعَرَ بأمنٍ وأمانٍ، مما يفرِّغه لما أتى من أجله من العبادة والتأله لله ﷻ.

ودعني أحدثك قليلاً عن تاريخ هذه البلاد قبل توحيدها على يد الملك الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله وغفر له، وجزاه عن المسلمين خير الجزاء:

كانت الحياة في جزيرة العرب قبل توحيدها مأساة حقيقية من جميع جوانبها: في الحرب والسلم، في البادية والحضر، وحسبك أن تعلم أنَّ كل بلدة لها سورة تتسور به من أعدائها الذين هم جيرانها وقد يكونوا أبناء عمومتهم!

ومع الخوف من القريب المعروف كان هناك قطَّاع الطرق الذي يجوسون الديار ويتربصون بأصحاب القوافل شرًا لسلبهم ونهبهم، ولم يسلم منهم الحجاج والمعتمرون!

فأبدلهم الله على يد الملك الصالح عبد العزيز آل سعود رحمه الله بعد خوفهم أمنًا، وبعد فقرهم غنى، وبعد تشرذمهم اجتماعًا، وبعد تنافرهم محبة، وبعد حربهم سلمًا. فلله الحمد من قبل ومن بعد.

ودونك هذا الحادثة ودلالاتها، قال الأمير شكيب أرسلان اللبناني وكان قد حجَّ عام ١٣٤٨هـ:

«كنت صاعداً مرة من مكة إلى الطائف وكانت معي عباءة إحسائية سوداء، جعلتها وراء ظهري في السيارة، فيظهر أنها سقطت من السيارة في أرض ولم نتنبه لها، فأخذ الناس يمرون، فيرون هذه العباءة ملقاة على قارعة الطريق، فلا يجرؤ أحد أن يمسَّها، بل شرعت القوافل تتنكَّب

عن الطريق، حتى لا تمر على العباءة؛ خشية أنه إذا أصاب هذه حادث يكون من مرَّ من هناك مسؤولاً، فكانت هذه العباءة على الطريق أشبه بأفعى يفر الناس منها، بل لو كانت ثَمَّة أفعى ما تجنبوها هذا التجنب كله.

وأخيراً وصل خبرها إلى أمير الطائف فأرسل سيارة أتت بها، وأخذ بالتحقيق عن صاحبها فقيل له: إننا نحن مررنا من هناك، وإن الأرجح كونها سقطت من سيارتنا، فجاء الأمير ثاني يوم يزورنا وسألنا: هل فُقِد لكم شيء من حوائجكم في أثناء مجيئكم من مكة؟ فأهبت برفاقي ليتفقدوا الحوائج، فافتقدوها فإذا بالعباءة السوداء مفقودة، وكنا لم ننتبه لفقدانها، فقلنا له: عباءة سوداء إحسائية قال: هي عندنا، وقص علينا خبرها».

إلى أن قال: «وقد أتيت على هذه النادرة هنا مثلاً من أمثال لا تعد ولا تحصى من الأمن الشامل للقليل والكثير في أيام الملك عبد العزيز مما لم تُحدِّث عن مثله التواريخ حتى اليوم، فالمكان الذي سقطت فيه العباءة كان في الماضي كثيراً ما تقع فيه وقائع السلب والقتل، ولا يمر الناس فيه إلا مسلَّحين، فأصبح إذا وجدت لقطة هناك على قارعة الطريق تجنب الناس الطريق لئلا يتهموا بها إذا فقدت، وكل يوم يأتي الشرطة والخفراء والعسس بلُقَط وحاجات ضائعة مما فقده السُفَّار أو سقط بدون انتباه عن الأكوار، وذلك إلى دائرة الأمن العام، فتبحث عن أصحاب هذه اللقطات وتردها لهم مما يقضي بالعجب.

ولو لم يكن من مآثر الحكم السعودي سوى هذه الأَمَنة الشاملة الوارفة الظلال على الأرواح والأموال التي جعلت صحاري الحجاز

وفيافي نجد آمن من شوارع الحواضر الأوروبية لكان كافيًا في استجلاب القلوب إليه، واستنطاق الألسن في الثناء عليه.

فاليوم نَجِد التاجر، والفلاح، والحادي، والملاح، والحاج القاصد على الضوامر، أو على الجواري المنشآت بالدُّسر والألواح، يتحدثون بنعمة هذا الأمن الذي أنام الأنام بملء الأجفان، وجعل الخلق يذهبون ويجيؤون في هاتيك الصحاري، وقد يكون معهم الذهب الرنان، وهم بلا سلاح ولا سِنان، فلا عمران للبلاد إلا بالأمان والاطمئنان.

حدثني بعض الأشراف الهاشميين من أولاد أمراء مكة أنفسهم أنهم كانوا في القرى التي لهم حول الطائف يوصدون أبوابها ليلاً، ولا يفتحونها لأي طارق خيفة الغيلة، وحذرًا من سطو اللصوص، حتى جاء هذا العهد السعودي فصاروا يأمنون أن يبيتوا وأبوابهم مفتحة، وصاروا يفتحون لأي طارق جاءهم.

وحدثني الجميع أنهم كانوا لا يقدرون على التجوال إلا مسلحين، فأصبح الآن كل إنسان يجول في الحواضر والبوادي أعزل لا يحمل شيئًا ولا السكين، وقد يكون حاملاً الذهب ولا يخشى عادية ولا حادثة، وكثيرًا ما يترك الناس أوقار دوابهم في قارعة الطريق وتبقى أيامًا وليالي إلى أن يعود أصحابها فيأخذوها، ولا يتجرأ أحد أن ينظر إليها»[(١)].

وكان المسلمون يعيشون تفرقًا عظيمًا في أعظم بقعة تجمعهم وفي أعظم عمل يؤدونه لله رب العالمين!

---

(١) «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» (ص١٨٦)، وقد حصل للأديب إبراهيم المازني في حجِّ عام ١٣٥٠هـ قصَّة مماثلة، ذكرها في كتابه «رحلة إلى الحجاز» (ص ٦٧).

فقد كان الحرم المكّي فيه أربعة مقامات، لكلِّ مذهب فقهي من المذاهب الأربعة إمام يصلي بمتبوعيه، ولا يصلي معهم غيرهم! حتَّى وفَّق الله الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ إلى إزالة هذا الأمر وجمع المسلمين الموحدين على إمام واحد؛ فاجتمعت القلوب باجتماعهم على إمام واحد، وهذا أثر واضح من آثار الأمن .

فقد تكلّم الرحّالة ابن جبير في رحلته عند مروره بمكة سنة ٥٧٨هـ، عن وجود أربعة أئمة سنّية للحرم، فأوّلهم إمامةً الشافعيُّ، ويصلي خلف مقام إبراهيم عليه السلام، ثم المالكي ويصلي قِبالة الركن اليماني، ثم الحنفي ويصلّي قِبالة الميزاب، ثم الحنبلي - وصلاته مع المالكي في حينٍ واحدٍ - وموضع صلاته يقابل ما بين الحجر الأسود والركن اليماني. إلا صلاة المغرب يصلونها في وقت واحد مجتمعين لضيق وقتها، قال: «يبدأ مؤذن الشافعي بالإقامة، ثم يقيم مؤذنو سائر الأئمة، وربما دخل في هذه الصلاة على المصلين سهوٌ وغفلة لاجتماع التكبير فيها من كل جهة، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي، أو سلَّم أحدهم بغير سلام إمامه»(١)

قال الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ: «بل قد بلغنا أن هذا المنكر كان في الحرم المكي، وأنه كان يصلي فيه أربعة أئمة، يزعمونهم للمذاهب الأربعة، لكننا لم نَرَ ذلك، إذ أننا لم ندرك هذا العهد بتمامه، وإنما حججنا في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وسمعنا أنه أبطل هذه البدعة، وجمع الناس في الحرم على إمام واحد راتب، ونرجو

(١) «رحلة ابن جبير» (ص٧٨).

أن يوفّق الله علماء الإسلام لإبطال هذه البدعة في جميع المساجد في البلدان، بفضل الله وعونه، إنه سميع الدعاء»[١].

ومن مفاخر المملكة العربية السعودية: ما تقوم به من حماية التَّوحيد، ومحاربة الشرك ووسائله وصوره، ومن أعظم تلك الوسائل والصور: إزالة القباب والمشاهد المحرمة التي كانت في مقبرة البقيع خاصة، وغيرها من المقابر في أنحاء المملكة كلها.

وإنَّ من نعم الله على أهل الإسلام: هذه البلاد المباركة التي قامت على حماية التوحيد الذي جاءت به الرسل، وإزالة الشرك من أرضها، فلا ترى فيها – ولله الحمد والمِنَّة - قبرًا يعبد، ولا ضريحًا بنيت عليه قُبَّة، ولا مَسجدًا به قبر، ولا ترى فيها مظهرًا من مظاهر الشرك، بل لا يصل إلى ولاة الأمر بخبر وجود قبر يُتردد إليه، أو بئر أو شجر يتبرك بها، أو غير ذلك؛ إلا ويزال.

قال الشيخ محمد المعصومي - وهو من علماء بُخارى -: «لما تشرفت بمكة المكرمة سنة (١٣٥٣هـ) انشرح قلبي برؤية الكعبة المشرفة – زادها الله تشريفًا وتعظيمًا – ولما شهدتُ توحيد الجماعة في الصلوات الخمس زادني سرورًا؛ لاضمحلال بدعة تعدد الجماعات في هذا المسجد الشريف، وكذا هدم قباب القبور التي كانت من أضرِّ الأشياء على عقيدة المسلمين».

ومع هذا الأمن والتوحيد الخالص فإنَّ المملكة العربية السعودية لم تدخر جهدًا ولا مالاً ولا أرواحًا من أجل خدمة الحجيج كلّ عام، وكل

(١) «سنن الترمذي» (١/ ٤٣٢).

ما من شأنه أن يريح الحجاج ويسهِّل عليهم مناسكهم فهو في أولوياتها خاصَّة في المشاريع العملاقة التي أقامتها في مشاعر الحج، فضلاً عن توسعات الحرمين الشريفين، ومساهمة عشرات الجهات الحكومية بأفرادها لخدمة الحجاج، وتسهيل أمورهم، وتيسير الحج بسلام وراحة للحجاج القادمين من كل حدب وصوب.

وانظر - أخي الحاج - وتأمَّل إلى مشاعر الحج كيف قد يسَّرها الله في هذا الزمان على يد حكَّام هذه البلاد المباركة، فأصبحت مناسك الحج آمنة ميسرة، بفضل الله ﷻ، ثم قيام قادة المملكة العربية السعودية على كل ما من شأنه تيسير أمور الحج، وتسهيل أموره، وإنك حيثما قلَّبت نظرك وجدت مشاريع عملاقة تنطق بحبِّ ولاة أمر المملكة العربية السعودية لهذه الشعيرة العظيمة، وتيسير أمورها للحجاج وخدمتهم.

فلو نظرت إلى مِنى أيام التَّشريق لرأيت مدينة متكاملة بُنيتْ ليقيم فيها أهلها ثلاثة أيام فقط، ولو تأمَّلت مشروع الجمرات لأبصرت قوَّة في البناء، وتيسيرًا للعباد في أشقِّ منسك يقومون به وهو رمي الجمرات، فأصبح سهلاً ميسرًا، وأصبح تنقل الحجاج في المشاعر المقدسة ميسرًا من خلال مشروع (قطار المشاعر) الذي يربط بين جنوب شرق مشعر عرفات وجنوب غرب مشعر منى (منطقة الجمرات)، عبر مشعر مزدلفة بمسار يبلغ حوالي ٢٠ كيلو مترًا، في إنشاءات مرتفعة على أعمدة في الجزر الوسطية للطرق، وامتدَّ الاهتمام إلى نُسك الهدي، فأنشأت مشروع (المملكة للإفادة من الهدي والأضاحي)، الذي يعمل فيه أكثر من أربعين ألف موظف، ويهدف الاستفادة من لحوم الهدي والأضاحي، وتوزيعها داخل المملكة وخارجها لنحو ثلاث وعشرين دولة إسلامية تحقيقا

للتكافل الاجتماعي في الإسلام، فضلاً عن الاهتمام البالغ بالجانب الصحي للحجاج من خلال إقامة المستشفيات والمراكز الصحية المؤقتة بموسم الحج فقط، وبلغت العناية بصحة الحجيج والمعتمرين بتوفير مصنع آلي متكامل لسقيا زمزم، يأخذ منها الحاجُّ حاجته من ماء زمزم لأهله بطريقة آلية نظيفة، وهذه بعض الجهود التي تدركها العين لا كلها، ولا ما يخفى عن الأعين كمشاريع التحكم بتصريف السيول، والكهرباء ونقل المياه، وغيرها.

والمسجد الحرام والمسجد النبوي قد حظيا - ولا زال - بعناية فائقة واهتمام بالغ من ولاة أمر هذه البلاد، منذ توحيدها على يد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ﷺ، ومرورًا بأبنائه الملوك الذين تقلدوا مقاليد الأمور في المملكة العربية السعودية: سعود، ثم فيصل، ثم خالد، ثم فهد، ثم عبد الله ﷺ، وإلى هذا العهد الزاهر عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز - أعزه الله ونصره - كلهم تعاقبوا على البذل بسخاء لخدمة هذين المسجدين الشريفين، وتوسيع مساحتهما، وتزويدهما بمختلف الخدمات التي تليق بهما، وتسهِّل على الحجاج والمصلين والزوَّار ما قَدموا من أجله من الطاعات.

فنسأل الله أن يضاعف لهم الأجر، وأن يبارك في أعمالهم، وأن يوفق خادم الحرمين الشريفين وولي عهده لما يحبُّ ويرضى، وأن ينصر بهما الملَّة والسنة، وأن يجعل هذه الأعمال في ميزان حسناتهما.

الرسالة الثامنة

الانتفاع بالقرآن

أخي الحاج:

إن الانتفاع بهدايات القرآن ليس لكل أحد، وإنما لطائفة من الناس ذكر الله تعالى وصفهم في موضعين من كتابه.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [قٓ: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [قٓ: ٤٥].

فهؤلاء هم أهل الانتفاع بالقرآن، فليس الانتفاع بالقرآن بمجرد تلاوته وحفظه، بل لا بد من تدبره والعمل بما فيه.

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [صٓ: ٢٩].

غايتان ذكرهما الله تعالى: التدبر والتذكر.

فإذا أردت الانتفاع بالقرآن فعليك أن تجمع قلبك عند تلاوته وسماعه فلا تنشغل عن معانيه، وأَلْق سمعك لما تقرؤه أو تستمع إليه، واحضر حضور من يخاطِب الله به، عندها ستجد لهذه التلاوة ولهذا السماع أثرًا بإذن الله تعالى.

والتدبر: هو النظر في عواقب الأمور، وما تؤول إليه[(١)].

ولذلك وصف النَّبي ﷺ الخوارج بأنهم يقرؤون القرآن، ولكنه لا يجاوز تراقيهم، وربما يحبرونه تحبيرًا، يقيمون حروفه، ولكن لا يجاوز حناجرهم، فما دَخَل القلب ولا وعاه القلب ولا تدبره.

والمقصود الأعظم من قراءة القرآن: فهمه وتدبره، والفقه فيه، والعمل به، كما قال بعض السلف: «نزل القرآن ليعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً»، ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب.

وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم.

ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله: «وما تدبر آياته إلا اتباعه، والله يَعلم، أمَا والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده؛ حتى إنَّ أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله فما أسقط منه حرفًا، وقد والله أسقطه كله، ما ترى القرآن له من خُلق ولا عَمل...، لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء»[(٢)].

ولذلك لا ينتفع قارئ القرآن بمجرد التلاوة إن لم يعمل، وإلا فالتلاوة عبادة وقربة، وكل حرف تقرؤه من القرآن بحسنة إلى سبعمائة، لكن الغاية هي: التدبر والعمل[(٣)]، ولذلك قال النَّبي ﷺ: «**يؤتى بالقرآن**

---

(١) ينظر: «التعريفات» للجرجاني (ص٥٤).

(٢) أخرجه الآجري في «أخلاق أهل القرآن» (٣٤).

(٣) أخرج الآجري في «أخلاق أهل القرآن» (٣٥) عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البَقَرَة: ١٢١] [البقرة: ١٢١] قال: «يعملون به حق عمله».

يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به»(١).

فأهل القرآن ليس هم الحفظة فقط، ولا الذين يقرؤونه فقط، وإنما الذين يعملون به، والقرآن حجة لك أو عليك، ورب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه، وهو من أشد الكاذبين، فيكون حجة عليه لا له.

ولذلك املأ قلبك - يا عبد الله - بموعظة القرآن وأَحِبَّها.

ولا شك أن أعظم المواعظ وأجلها كلام الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يُونس: ٥٧-٥٨].

ولا شك أن من قرأ القرآن وتدبره وأَعمَل قلبه نفعه ذلك وأورثه حب القرآن والفرح به، فمن فرح بتلاوة القرآن فقد بلغ منزلة عظيمة.

ولا شك أنَّ أرفع درجات القلوب فرحها التام بما جاء به الرسول ﷺ وابتهاجها وسرورها.

وأعظم ما يفرح به العبد - وهما فضل الله ورحمته -: القرآن والإيمان، من فَرِح بهما فقد فرح بأعظم مَفْروح به.

وأختم وصيتي لك بوصية شيخنا ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «من الأمور التي أوصيكم ونفسي بها: الإقبال على تلاوة القرآن العظيم والإكثار منها ليلاً ونهارًا مع التَّدبر والتفكر والتعقل لمعانيه العظيمة، المُطِّهرة للقلوب، المحذرة من متابعة الهوى والشيطان... والمقصود من

(١) أخرجه مسلم (٨٠٥).

التلاوة هو التدبر والتعقل للمعاني، ثم العمل بمقتضى ذلك، كما قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

فبادروا - رحمكم الله - إلى تلاوة كتاب ربكم وتدبر معانيه وعمارة الأوقات والمجالس بذلك... واحذروا - رحمكم الله - ما يصدكم عن كتاب الله ويشغلكم عن ذكره من الصحف والمجلات وما أشبهها من الكتب التي ضررها أكثر من نفعها. وما دعته الحاجة إلى مطالعة شيء من ذلك فليجعل لذلك وقتًا مخصوصًا، وليقتصر على قدر الحاجة وليجعل لتلاوة كتاب الله وسماعه ممن يتلوه وقتًا مخصوصًا يستمع فيه كلام ربه، ويداوي بذلك أمراض قلبه ويستعين به على طاعة خالقه ومربيه المالك للضر والنفع والعطاء والمنع لا إله غيره ولا رب سواه»[(١)].

أسأل الله أن يستعملنا في طاعته، وأن يجعلنا من أهل القرآن المتدبرين له، وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا.

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣/ ٢٤٩).

الرسالة التاسعة

محبة الرسول ﷺ

أخي الحاج:

إنَّ محبَّة رسول الله ﷺ وتوقيره وتعظيمه عبادةٌ نتقرب بها إلى الله ﷻ، وهذه المحبة إيمان، وهي تكون بالقلب واللسان والجوارح:

فمحبته بالقلب تعني: تقديم محبَّته ﷺ على النَّفس والوالد والأهل والولد، كما قال ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِين**»[(١)].

ومن ذلك: استشعار هيبته، والشوق لرؤيته، وحُبُّ ما يُحِبُّ ومَن يُحب، وكُرْه ما يكره ومَنْ يكره.

ومن ذلك: معرفة سيرته ﷺ، وتدبرها، وأن يعيش المسلم تلك السِّيرة، وأن يأخذ العِبَر منها.

ومحبته باللسان تعني: التأدُّب عند ذكره ﷺ، فلا يذكر باسمه مجردًا، بل يُوصف بالنبوَّة أو الرسالة فقد وصف الرسول ﷺ من لا يصلِّي عليه عند ذكره بالبخيل[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤)، ومسلم (٤٤)، واللفظ له.

(٢) أخرج أحمد (٢٥٨)، والترمذي (٣٥٤٦) والنسائي (٩٨٠٢) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيّ**». ﷺ.

ومن ذلك: كثرة الصَّلاة عليه، وترديد الأذكار والأدعية التي قالها ﷺ، ونشر سنته، وتعليمها للناس، وتذكيرهم بحقوقه ﷺ.

ومحبته بالجوارح تعني: العمل بسنته، والاقتداء والاهتداء بهديه ظاهرًا وباطنًا.

ومن لوازم محبته: أنَّ حرمة النبي ﷺ بعد موته، وتوقيره، وتعظيمه مستمرة بعد موته ﷺ عند ذكره، وسماع حديثه(١).

قال أبو إبراهيم التَّجِيبي: «واجب على كل مؤمن متى ذكره، أو ذُكر عنده أن يخضع ويخشع، ويتوقَّر، ويسكن من حركته، ويأخذ في هيبته وإجلاله؛ بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا الله به،... وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح، وأئمتنا الماضين رضي الله عنهم»(٢).

ومن محبته ﷺ: الاهتداء بهديه ﷺ في أمور التوحيد والاعتقاد التي بعث من أجلها، ومن ذلك: اعتقاد تفرد الله عز وجل بالربوبية: فهو الخالق، وهو الرازق، وهو المحيي، وهو المميت، وهو المعزُّ، وهو المذل.

ومن أقرَّ أنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا نافع إلا الله وجب عليه أن يقرَّ أن العبادة بجميع أنواعها لا تكون إلا لله جل وعلا، فلا يُدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا تذبح النذور ولا تقرَّب القرابين إلا له جل وعلا.

والله جل وعلا له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، نؤمن بها كما وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة على ظاهرها، وما تدلُّ عليه ألفاظها من المعاني، ولا نؤولها عن ظاهرها.

---

(١) **ينظر**: «الصارم المسلول على شاتم الرسول» (٣/ ٨٠١).

(٢) «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (٢/ ٤٠).

وصفاته ﷻ لا تشبه صفات المخلوقين، تعالى عن النِّدِّ والنَّظير.

ومن توقيره ﷺ: موالاة آله وعترته وأهل بيته المؤمنين، وصحابته الكرام، ومحبتهم بما ورد في الشرع، فلا إفراط ولا تفريط، فعقيدتنا وسطٌ بين الإفراط والتَّفريط، والغلُوِّ والجفاء في جميع مسائل الاعتقاد، ومن ذلك عقيدتنا في آل بيت الرَّسول ﷺ:

فإنَّنا نتولَّى كلَّ مسلم ومسلمة من أهل البيت: أزواجه، وذريته، وبني هاشم، وبني المطلب، فنحبهم، ونتولاهم، وننزلهم منازلهم التي يستحقُّونها كما أمر الله، ومن ذلك أن نعرف الفضل لمن جمع الله له بين شرف الإيمان بالله ورسوله ﷺ، وشرف الاتصال بالنسب النبوي الشريف.

فمن كان من أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ، فإنَّنا نحبُّه لإيمانه وتقواه، ولصُحبته لرسول الله ﷺ، ولقرابته منه ﷺ.

ومن أتى من منهم بعد عصر النبوة، وهو مؤمن، فإنَّنا نحبُّه لإيمانه وتقواه، ولقرابته من رسول الله ﷺ.

ومن لم يُوَفَّق منهم للإيمان، فإنَّ شرف النَّسب لا يفيده شيئًا. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٣]، وقال ﷺ: «**وَمَن بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»(١).

ومع هذه المحبة الواجبة: فإنَّنا لا نعتقد عصمتهم، بل هم بشر تقع منهم الذنوب كما تقع من غيرهم، كما لا نغالي في أوصافهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

ونعتقد أنَّ مِن الصحابة مَن هو أفضل ممن جمع بين الصحبة والقرابة، فأبو بكر الصديق وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين هم خير الصَّحابة على هذا الترتيب.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

الرسالة العاشرة

عبادة الصبر

أخي الحاج:

الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر.

وعبادة الصبر من العبادات التي عظَّم الله تعالى أجرها، وفضَّل أهلها، ورفع درجاتهم.

وهذه العبادة العظيمة الجليلة، جاء ذكرها في القرآن في مائة موضع، وذلك لعظم شأنها، وما أعده الله تعالى للصابرين.

والصبر مذكور في القرآن على أنواع:

فتارة يأمر الله به، كقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النّحل: ١٢٧].

وتارة ينهي عما يضاده، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وتارة بتعليق الفلاح به، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٢٠٠]، **فعلّق الفلاح** بمجموع هذه الأمور.

وتارة بالثناء على أهله، فقد ذكرها الله من صفات كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عِمرَان: ١٦-١٧].

وتارة بالإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

وتارة بتعليق الإمامة في الدين به وباليقين، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجدَة: ٢٤].

ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له.

وقد أخبر النبي ﷺ أنه: «**ضياء**»[(١)].

وقال ﷺ: «**ومن يتصبر يصبره الله**»[(٢)].

والصبر يحتاجه المؤمن أيما حاجة؛ حتى يسير في هذه الدنيا على وفق ما يرتضيه الله تعالى، وكل العبادات قد رتب الله تعالى الجزاء لمن قام بها، ولكن الصبر جاء ذكر ثوابه بلا حدٍّ.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

والصبر هو حبس النَّفس عن محارم الله، وحبسها على فرائضه، وحبسها عن التَّسخُّط والشِّكاية لأقداره، ولسانه عن الشَّكوى، وجوارحه عمَّا لا ينبغي فعله مع انتظار الفرج من الله جل وعلا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣)، والتَّصبر تكلف الصبر.

وبعض النَّاس إذا سمع بالصبر وعبادة الصبر لم يتوارد إلى ذهنه إلا الصبر على المصائب والابتلاءات والمحن، نعم هذا نوع من الصبر محمود، وعبادة عظيمة، لكنه نوع من أنواع الصَّبر، لا الصَّبر كلَّه.

والصبر على المصائب والابتلاءات - وهو الصبر على أقدار الله المؤلمة - واجب على المسلم، ويكون صبره بعدم إظهار الجزع أو التَّسخط سواء أكان قولاً أو فعلاً، فمن لزم الصبر لم يتسخط على القدر، ولم يعترض عليه، وإن كان متألمًا في نفسه.

ولذلك قال ﷺ عند وفاة ابنه إبراهيم رضي الله عنه: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[(١)].

والصبر على ثلاثة أنواع: صبر على الطاعة، وصبر عن المحرم، وصبر على أقدار الله.

النوع الأول - وهو أعظمها -: الصبر على طاعة الله تعالى، فإن الطاعة لله تعالى تحتاج إلى صبر ومصابرة.

وما ذلك إلا أنَّ الصبر على التَّكليف هو صبر على الطاعة أو صبر عن المعصية، وهما أفضل من الصبر على مُرِّ القدر، والذي يأتي به البَرُّ والفاجر، والمؤمن والكافر، فلابُدَّ لكلِّ أحد من الصَّبر على القدر سواء أكان اختياراً أو اضطراراً، أما الصبر على الأوامر وعن النواهي فهو صبر من اتَّبع الرسل.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

والعبد يحتاج إلى الصبر للقيام بالعبادات، فعبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحتاج إلى صبر ومصابرة. فالصبر من مقتضيات ولوازم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهُمَزة: ١-٣]، أي لا بد من الصبر إذا تواصى الإنسان مع إخوانه على الحق.

قال تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمَان: ١٧].

وعبادة الصلاة تحتاج إلى صبر، فيترك الإنسان لذيذ نومه، ويترك فراشه ويهبُّ لإجابة داعي الله تعالى، فيؤدي صلاة الفجر مع جماعة المسلمين، ويحافظ على سائر الصلوات حيث ينادى بها في المساجد فهذا يحتاج إلى الصبر، والصوم وترك الطعام والشراب في يوم شديد الحر يحتاج إلى صبر، وإنفاق المال الذي هو محبوب للنفس يحتاج إلى صبر.

وبالجملة: فما من عبادة إلا وهي بحاجة للصبر؛ لما فيها من مخالفة النفس وإرغامها على ما تكره.

النوع الثاني: الصبر عن محارم الله ومعاصيه، فالإنسان يحتاج إلى أن يمنع نفسه إذا دعته إلى ارتكاب محرم من المحرمات بالصبر، فإذا دعته نفسه وهواه إلى النظر المحرم، أو إلى سماع المحرم، أو إلى فعل المحرم، فيتذكر أن الله قد نهاه، وأن الله تعالى مطلع عليه ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العَلق: ١٤]، فيصبر عن هذه المعصية رجاء ثواب الله تعالى، وخوف عقابه.

ومما يعين على الصبر عن محارم الله: أن يعلم العبد قبحها، وأن الله حرمها صيانة له عن الرذائل؛ فيحمله ذلك على تركها، ومنها الحياء من الله ﷻ، والخوف منه فيتركها لسوء عاقبتها، وأنَّ الله مطلع عليه يراه ويسمعه، فيبعثه ذلك على الكفِّ عما نهي عنه، ومنها مراعاة النِّعم، فإن المعصية غالبًا تكون سببًا لزوال النعمة، ومنها محبة الله الباعثة على تغليب محبوب الله ﷻ على محبوبه هو.

النوع الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة، فمن أركان الإيمان: الرضا بقضاء الله وقدره، وأن يعلم الإنسان أن القدر خيره وشره من الله، وأن ما أصابه إنما هو بقدر الله تعالى فيصبر ويحتسب، ولذلك قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٥].

فالصبر عند المصائب من العبادات العظيمة التي يغنم بها العبد الأجور العظيمة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ بصبي لها فقالت: يا نبي الله! ادعُ الله له، فلقد دفنت ثلاثةً، قال ﷺ: «**دفنت ثلاثة؟!**» ـ مستعظماً أمرها ﷺ ـ قالت: نعم؛ قال: «**لقد احتظرتِ بحظارٍ شديدٍ من النار**».(١)

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات ولد العبد، قال الله** ﷻ لملائكته: «أقبضتم ولد عبدي؟» فيقولون: نعم؛ فيقول وهو أعلم: «أقبضتم ثمرة فؤاده؟» فيقولون: نعم. فيقول: «ماذا قال

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣٦). **قوله: احتظرت**، أي امتنعت بمانع وثيق من النار، وتحصنت منها بحصن حصين، وأصل الحظر: المنع.

عبدي؟» فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله ﷻ: «ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسمّوه بيت الحمد»[(١)].

وهذا الأجر العظيم له شرط، وهو أن يكون الصبر عند الصدمة الأولى.

فعن أنس رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «**اتقي الله واصبري**». قالت: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوَّابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[(٢)].

فوقوع المصيبة بغتة لها رَوعة تزعزع القلب وتزعجه، فإنْ صبر مباشرة وهي التي تسمى الصدمة الأولى انكسر حَدُّها، وضعفت قوتها، فهان عليه استدامة الصبر، فكل صاحب مصيبة فإن قصاراه ومآله إلى الصبر، ولكنه إنما يحمد على صبره عند حِدَّة المصيبة وحرارتها.

فالمرء عند المصائب يصبر رجاء ثواب الله تعالى، وقد قال النَّبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له**»[(٣)].

فالمؤمن في كل أحواله إنما يفعل ما يرضي الله تعالى من

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٧٢٥)، والترمذي (١٠٢١)، وحسَّنه ابن حجر في «الفتوحات الربانية» (٣/٢٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

العبادات، فلا تستخرج عبادة الصبر إلا عند مقتضاها من الصبر على طاعة الله، والصبر عن محارم الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة.

فالمرء عند المصيبة وعند الصدمة الأولى يتذكر ما أعده الله تعالى للصابرين، وأن المؤمن إذا أصابته ضراء صبر، ويعلم أن هذه المصيبة ما حدثت ولا مضت إلا بتقدير العليم الحكيم، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، فيؤمن بالقدر خيره وشره، وعليه الاسترجاع والحمد، وأن يعلم أن عبادة الصبر من أجلِّ العبادات، وأنه يبتلى بأمور كثيرة، لكن كما قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الرُّوم: ٦٠]، فاعلم أنه لو جاءك ما يأتي من المحن والابتلاءات والأذى من قول أو فعل أنَّ عبادة الصبر هي ما يتقرَّب به العبد في هذه الحال، وأنَّ العاقبة حميدة لمن صبر لله تعالى في الدنيا والآخرة.

اللهم إنا نسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلنا ومالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وألِّف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، ووفق ولاة أمورهم لكل خير.

اللهم وفِّقْ خادم الحرمين الشريفين لكل خير.

اللهم انصر به دينك وأعْلِ به كلمتك.

اللهم اجمع به كلمةَ الأُمَّةِ على الخير، وبارك له في مساعيه واجعل مساعيه فيما يقدم إليك زلفى.

اللهم شدَّ عضده بولي عهده، وبارك له في مساعيه الخيرة.

اللهم وفقهما للصواب فيما يقولان ويفعلان، إنك على كل شيء قدير

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠١].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحَشر: ١٠].

فهرس المصادر المراجع

* **القرآن الكريم.**

* **أخلاق أهل القرآن**، الآجري، تحقيق: محمد عمرو عبد اللطيف، ط٣، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

* **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الشنقيطي، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

* **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط١، مكتبة السنة المحمدية.

* **الآداب الشرعية والمنح المرضية**، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٩هـ.

* الأدب المفرد للبخاري، ط٣، دار البشائر، ١٤٠٩هـ.

* **الأذكار**، النووي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر، ١٤١٤هـ.

* **الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف**، شكيب أرسلان، دار النوادر، ط١، ١٤٢٦هـ.

* **البيان والتبين**، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، دار العروبة،

* **التعريفات**، علي الجرجاني، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

* **الروح**، ابن القيم، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، ط١، عالم الفوائد، ١٤٣٢هـ.

* **السنن الصغرى** (المجتبى) للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ.

* **السنن الكبرى**، البيهقي، ن: محمد عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

* **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض، ط١، دار الفكر، ١٤٠٩هـ.

* **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، ابن تيمية، تحقيق: محمد الحلواني، ط١، رمادي للنشر، ١٤١٧هـ.

* **الصحاح**، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين. ١٤٠٧هـ.

* **الفائق في غريب الحديث**، الزمخشري، تحقيق: علي البجاوي، ط١، مكتبة البابي الحلبي.

* **الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني**، جمع وتحقيق: محمد صبحي حلاق، ط١، مكتبة الجيل.

* **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، محمود الزمخشري، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

* **المجموع شرح المهذب**، للنووي، تحقيق: محمد المطيعي، مكتبة الإرشاد.

* **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم، تحقيق: مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

* **المصنف**، ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، ط١، مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.

* **المصنف**، عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.

***المعجم الأوسط**، الطبراني، تحقيق: طارق عوض الله، ط١، دار الحرمين.

* **المعجم الكبير**، الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية.

* **المعين على تفهم الأربعين**، ابن الملقن، تحقيق: دغش العجمي، ط١، مكتبة أهل الأثر، ١٤٣٣هـ.

* **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، الفيروز آبادى، تحقيق: محمد علي النجار، ط١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.

* **بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام**، ابن القطان، تحقيق: الحسين آيت سعيد، ط١، دار طيبة، ١٤١٨هـ.

* **تفسير ابن كثير**، تحقيق: سامي السلامة، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ.

* **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي.

* **جامع الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر، ط٣، مطبعة البابي، ١٣٩٥هـ.

* **جمهرة اللغة**، ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط٣، دار العلم للملايين.

* **دلائل النبوة**، البيهقي، ط٣، دار الكتب العلمية.

* **رحلة ابن جبير**، دار صادر.

* **رحلة إلى الحجاز**، إبراهيم المازني، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.

* زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ.

* **سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف.

* **سنن ابن ماجه**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.

* **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.

* **شرح الأربعين النووية**، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٢٥هـ.

* **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١٠، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ.

* **شعب الإيمان**، البيهقي، تحقيق: عبد العلي الحامد، ط١، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ.

* **صحيح ابن حبان** (بترتيب ابن بلبان)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.

* **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق: مصطفى الأعظمي، ط٣، المكتب الإسلامي، ١٤٢٣هـ.

* **صحيح البخاري**، دار التأصيل، ١٤٣٦هـ.

* صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ.

* **صحيح مسلم**، دار التأصيل، ١٤٣٥هـ.

* **عيون الأخبار**، ابن قتيبة، ط١، دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ.

* **غريب الحديث**، ابن قتيبة، تحقيق: عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ.

* **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ابن حجر، ط١، المطبعة السلفية، ١٣٨٠هـ.

* **فتح ذي الجلال والإكرام شرح بلوغ المرام**، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، ١٤٢٤هـ.

* **فضائل الصحابة**، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: وصي عباس، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ.

* **فضل الصلاة على النبي ﷺ**، إسماعيل بن إسحاق، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي، ١٩٧٧م.

* **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المناوي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.

* **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن القاسم، ط١، مطبعة الرياض، ١٣٨١هـ.

* **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، عبد العزيز بن باز، جمع: محمد الشويعر، ط٤، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

* **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.

* **مسند الدارمي**، تحقيق: حسين أسد، ط١، دار المغني، **١٤٢١**هـ.
* **مشارق الأنوار عل صحاح الآثار**، القاضي عياض، ط١، دار الكمال المتحدة، **١٤٣٧**هـ.
* **مكارم الأخلاق**، ابن أبي الدنيا، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، ط١، مكتبة أهل القرآن.
* **نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي السلفي، ط١، دار ابن كثير، **١٤١٦**هـ.
* **نظم الدرر في تناسب الآي والسور**، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي.

الفهرس

فهرس الموضوعات

مقدمة الطبعة الثانية ٧
مقدمة ٩
الرسالة الأولى: منافع الحج ١١
الرسالة الثانية: محبة الله للعبد: أسبابها وآثارها ٢٢
الرسالة الثالثة: الجزاء من جنس العمل ٢٩
الرسالة الرابعة: الحياء من اللَّه ٣٥
الرسالة الخامسة: انحراف الخوارج وضلالهم ٣٩
الرسالة السادسة: وصايا نبوية عظيمة ٤٨
الرسالة السابعة: جهود ولاة أمر المملكة العربية السعودية في خدمة الحرمين الشريفين وقاصديهما ٥٥
الرسالة الثامنة: الانتفاع بالقرآن ٦٣
الرسالة التاسعة: محبة الرسول ﷺ ٦٧
الرسالة العاشرة: عبادة الصبر ٧١
فهرس المصادر والمراجع ٧٩

تم بحمد الله

تأليف

عبد الرحمن بن عبد الله السند

الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والمدرس بالحرمين الشريفين

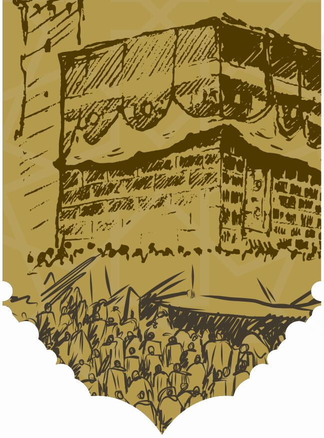

رؤية VISION 2030

المملكة العربية السعودية KINGDOM OF SAUDI ARABIA

موقع الرئاسة

www.pv.gov.sa

الرقم الموحد

1909

PVGOVSA